الوعي

يا أيها الذين آمنوا
استجيبوا لله وللرسول

جامعة - فكرية - ثقافية

وجوب اقامة الخليفة

بين العقل والدين

المعركة المتجددة حول الدين والدولة
الخلاف حول الخلافة

انهيار الشيوعية

العدد رقم (٣٢) - السنة الثالثة - جمادى الأولى ١٤١٠هـ - لموافق ك١ ١٩٨٩م.

■ استئناف الحياة الاسلامية — الشهيد سيّد قطب (ص ١٠)

AL-WAIE

الوعي

السنة الثالثة ـ العدد رقم (٣٢)

جامعية ـ فكرية ـ ثقافية

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان

المراسلات

على العنوان التالي

«الوعي»
كلية بيروت الجامعية
ص.ب ٥٠٥٣/٨٩ ـ ١٣
بيروت ـ لبنان

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠ ل.ل.
الولايات المتحدة ١,٥ دولار
السويد ٥ كرونن.
المانيا ١,٥ مارك.
استراليا ١,٥ دولار.
باكستان ١٢ روبية.
النمسا ١٠ شلن
بلجيكا ٥٠ فرنك بلجيكي
فرنسا ٥ فرنك فرنسي
سويسرا ١,٥ فرنك.
يوغسلافيا ١,٢٥ دولار
الدانمرك ١٠ كرونن

إقرأ في هذا العدد

- الأردن والميثاق ..... ص (٣)
- انهيار الشيوعية ..... ص (٤)
- وجوب إقامة الخليفة ..... ص (٦)
- من اقوال زكي بدر في المحكمة ..... ص (٩)
- استئناف الحياة الاسلامية ..... ص (١٠)
- بين العقل والدين ..... ص (١٢)
- من اصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم ..... ص (١٦)
- اوزال والصلاة في مواجهة العلمانيين ..... ص (٢١)
- النباهة والاستحمار ..... ص (٢٧)
- المعركة المتجددة حول الدين والدولة الخلاف حول الخلافة (١) ..... ص (٣٣)

بالاضافة إلى الأبواب الثابتة

الى السادة الكتّاب

● يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون اذن مسبق على أن تذكر كمصدر

● لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها. وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.

● لـ«الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وغير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.

● نرجو ترقيم ووضع خط تحت جميع الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.

سفير أميركا في لبنان (مكارثي) سُئل في زغرتا في ٨٩/١١/١٨: متى تعودون إلى سفارتكم في بيروت؟ فأجاب: «نعود إلى بيروت حالما نرى ان سلامتنا مضمونة، **مجرد ان نشعر انه يمكننا اجراء اتصالات حرة مع جميع القيادات في لبنان**».

رافع السفير اي سفير، انه رسول من دولته إلى دولة أخرى. وهذا الرسول امّا أن يكون ناقل رسالة ويعود إلى بلده، وأما أن يقيم في البلد المرسل اليه. فاذا اصبح مقيماً فان مهمته لا تزيد عن نقل الرسائل من دولته إلى الدولة التي اعتُمد لديها. ولا يصح أن تكون هناك اية علاقة لهذا السفير أو الملحقين به الا مع الجهة الرسمية التي تنتدبها الدولة للاتصال به.

سفير أميركا يشترط أن يتمكن من اجراء اتصالات حرة مع جميع القيادات. اي قيادات الأحزاب والجمعيات والنقابات والمليشيات والجيش والنواب والتجار والجامعات والعمال واجهزة الاعلام وعامة الناس. وهذا هو شأن جميع السفراء في لبنان وليس سفير أميركا وحده.

اية دولة تحترم نفسها لا تسمح للسفير او اي من اتباعه ان يتصلوا باحد من الرعية او من الحكام غير الجهة التي تخصصها لهذا الاتصال. والا أصبحت السفارات أوكاراً للتخريب والتجسس وشراء الذمم.

والدولة الاسلامية ستقفل سفارات الدول الاستعمارية، وستكتفي من العلاقات معهم بوجود السفراء المتنقلين فقط.

كلمة العدد

الأردن والميثاق

قبل الانتخابات التي جرت في الأردن في ٨/١١/٨٩ كان الملك يتحدث عن وضع ميثاق للشعب في الأردن. وبعد الانتخابات طرح الأمر وبحث في تشكيل لجنة لوضع الميثاق. والآن يدور الحديث في الأردن على هذا الميثاق.

الشعب في الأردن جزء من الأمة الاسلامية، وما ينطبق عليها ينطبق عليه.

وميثاق الأمة الاسلامية معروف هو كتاب الله وسنة رسوله. ففي هذا الميثاق تجد العقيدة، وتعرف الخير والشر، وتعرف الحلال والحرام، وتعرف الحسن والقبيح، وتعرف الحقوق والواجبات، وتعرف المكروه والمندوب، وتعرف المعروف والمنكر، وتعرف مكارم الأخلاق ومساوئها.

واذا كانت هناك مسائل خلافية، ويريدون أن يتفقوا عليها، فانهم يختارون من الكتاب والسنة (وما أرشدا اليه) يتبنونها حسب قوتها ويلتزمون بها فتكون ميثاقاً لهم.

ولا يحل للمسلمين (في الأردن أو غيره) ان يكون لهم ميثاق أو دستور أو قانون من غير كتاب الله وسنة رسوله.

في بعض البلاد الاسلامية تنص الدساتير على جعل الشرع الاسلامي مصدراً من مصادر الدستور والقانون، وفي بعضها تنص على جعل الشرع الاسلامي المصدر الرئيسي للدستور والقانون. وهذا كله لا يصح، لأن الذي يجعل الاسلام مصدراً من المصادر أو المصدر الرئيسي فانه سيتخذ مصدراً آخر معه، وهذا حرام. حرام أن نتحاكم الى شريعة غير شريعة الاسلام. قال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». وحين رأى رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام عمر ينظر في صحيفة من التوراة غضب وقال: «ألم آت بها بيضاء نقية، ولو أدركني أخي موسى لما وسعه الا اتباعي».

المسلمون اليوم يحتقرون انفسهم ويعظمون دول الغرب. ويحتقرون كتابهم وسنتهم وشريعتهم ويفتتنون بشرائع الغرب. مع أن الله جعلهم ﴿خير أمة اخرجت للناس﴾ واكرمهم بالرسالة الكاملة ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾.

وهل هناك مسلم عاقل يترك ما انزل الله من الهدى والنور ليأخذ من عند الناس الضلالات والظلمات؟

اللهم ارنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وارنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة «الوعي»

غورباتشوف يتخلى عن الشيوعية باسم الاصلاح واعادة البناء. ودول الكتلة الاشتراكية تطيح بحكم الأحزاب الشيوعية متوجهة نحو الديمقراطيات الغربية، وتضرب بالاقتصاد الاشتراكي عُرْض الحائط مُيممّة شطر الاقتصاد الغربي الحر.

في الستينات بنوْا جدار برلين واليوم هدموه. ووضعوا مبدأ بريجينيف للسيادة المحدودة واليوم نقضوه. وعادوْا النظام الرأسمالي واليوم صادقوه.

اصحاب الشيوعية تراجعوا عنها بعدما جربوها. فماذا يفعل الشيوعيون في بلادنا؟ هل يتعظون بغيرهم، او يسيرون حتى تصطدم رؤوسهم وتسيل دماؤهم؟

حين وضع كارل ماركس اسس الماركسية (اي المبدأ الشيوعي) كان يتوقع لها أن تنتصر وتسود العالم، او قل هو كان يحتُم وليس فقط يتوقع، لانه صاحب فكرة الحتمية التاريخية التي بناها على (المادية التاريخية).

وحين نجحت ثورة اكتوبر الشيوعية سنة ١٩١٧ بقيادة لينين في روسيا كان يتوقع ان هذه الثورة ستمتد لتشمل العالم كله بدءا بالدول الاكثر إغراقا في الرأسمالية. فهو كان يتوقع ان انجلترا والمانيا وامريكا ستكون من اوائل البلاد التي ستتحول إلى الاشتراكية، لأن نظرية ماركس تقول بأن الاستعمار (الامبريالية) هو أعلى مراحل الرأسمالية حيث تتحول بعده إلى الاشتراكية بصورة حتمية.

ولكن الواقع كذّب ماركس وكذّب لينين في غالبية الأسس التي قام عليها الفكر الشيوعي، والبقية على الطريق.

وها إن النصف الثاني من سنة ١٩٨٩ يشهد انهيارات متلاحقة وبشكل سريع في بُنْية الفكرة الشيوعية وفي بُنْية منظومة الدول الاشتراكية. بدأ الانهيار في بولندا حيث نُحّيَ الحزب الشيوعي عن رئاسة الحكومة واستلمت نقابة التضامن الحكم بعدما ايدها الشعب في الانتخابات. ثم تبع ذلك في المانيا الشرقية حيث نُحّي رئيس الدولة (هونيكر) وجاء (كرينتس) الذي سقط هو بدوره أيضا وسقط جدار برلين. ثم وصل الدور إلى المجر حيث تراجع الحزب عن افكاره. ووصل إلى رومانيا ولكن رئيسها (تشاوشيسكو) لم يسقط بعد. ووصل إلى تشيكوسلوفاكيا وجعلها تتراجع أمام تظاهرات الطلاب والمثقفين.

ماذا يجري في المعسكر الإشتراكي؟

إن رائد هذه التغييرات هو (غورباتشوف) رئيس الاتحاد السوفياتي. وهو صاحب كتاب (البيريسترويكا) اي الإصلاح. فما هي حقيقة غورباتشوف؟ هل هو عدوّ للاشتراكية يحاول ان يدمرها بعد أن وصل إلى مركز السلطة، هل هو مدسوس على الماركسية؟

كلا ليس مدسوسا عليها ولا عدوا لها، بل هو مفكر مجتهد وليس مقلدا، وهو صاحب مذهب خاص في فهم الاشتراكية وهو يرى أن الذين سبقوه قد أساءوا وانحرفوا فجاء هو بفكرة الإصلاح والانفتاح وإعادة البناء وبما أن أسس الفكرة الشيوعية لا تصلح للاجتهاد، وليس فيها القدرة على تقديم الحلول اللازمة لمواجهة المشاكل فإن كل مجتهد فيها سيضطر إلى تحريفها والخروج عنها.

بدأ غورباتشوف عهده (١٩٨٥) بالانفتاح على الغرب، وإيقاف كل مظاهر الحرب الباردة. ثم بدأ يرتب لسحب قواته من افغانستان، وأخذ يركز السلطات في يديه ويبعد عن السلطة الذين لا يتفقون معه في الرأي. ثم كشف خطته الإصلاحية التي نرى نتائجها الآن.

لقد رأينا انه حرك القوميات: فهؤلاء الأرمن، وهؤلاء الأتراك وهؤلاء جمهوريات البلطيق (استونيا وليتوانيا ولاتينيا) وغيرها قد تحركوا لإعادة جمع شمل الذين كانوا قد فُجّروا او ضم المقاطعات التي فصلت.

ورأينا انه يريد **إعطاء حريات في ممارسة السلطة.** فهو يقول في كتابه (**بريسترويكا والتفكير الجديد لبلادنا والعالم**): «مزيداً من الاشتراكية، مزيداً من الديمقراطية». ويقول فيما يسميه (الغلاسنوست) أي (كشف المخبأ) بأن الإعلام حرّ في النقد وفي استطاعة أي كان أن يقول لأي مسؤول وأمام الناس انه

انهيار الشيوعية

مخطئ.

ورأينا أنه يريد **إعطاء حريات في التملك والشؤون الاقتصادية أكثر**، فهو يقول: «**إن مهمة البريسترويكا الأولى وشرطها الضروري ومكمن نجاحها تقوم في إيقاظ الإنسان ودفعه ليكون نشيطاً وذا مصلحة حقيقية، للوصول إلى أن يشعر كل فرد أنه مالك البلاد، وإن مكان عمله ومصنعه ومعمله هي جميعاً مؤسسات يملكها هو**» ويقول: «**إنسانية أكثر في العلاقات الاجتماعية والانتاجية والشخصية بين الناس، وعزة الفرد واحترام كينونته**».

ورأينا أنه يريد **إعطاء حريات في ممارسة شعائر الدين**. وقد برز في إجراء الاحتفالات في كنائس روسيا بحضور مبعوث البابا، وبتسهيل لقاء رفسنجاني بالمسلمين أثناء زيارته لروسيا. وبرز أكثر في لقائه مع الـ U.P.I في الفاتيكان في ٨٩/١٢/١، حيث قال في كلمة مكتوبة «**إن شعوباً من كل الطوائف تعيش في الاتحاد السوفياتي من مسيحيين ومسلمين ويهود وبوذيين وغيرهم. ولجميع هؤلاء الحق في إشباع رغباتهم الروحية وسيصدر قريباً جداً قانون في شأن حرية المعتقد في بلادنا**».

النتيجة هي أن غورباتشوف يحاول إعطاء الاشتراكية مضموناً فيه بُعدٌ عن مضمونها كما فهمه أسلافه، وفيه تقرّبٌ من الديمقراطية الغربية والاقتصاد الغربي الحر، وفيه حرية التدين.

إن المدقق يجد أن غورباتشوف يتقرب من الغرب ليس حُبّاً بالغرب وليس اعتناقاً بالنظم الغربية، وإنما هو مضطر إلى ذلك، وإن لم يفعل فإن المجتمعات في الدول الاشتراكية ستنفجر من الداخل.

لقد حصلت ثورة في المجر سنة ١٩٥٦ وسحقتها روسيا بكل شدة. وحصل تحرك في تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨ وهو ما يسمى (ربيع براغ) بزعامة دوبتشيك، وقد نقلت روسيا الدبابات بطائرات الهيليوكوبتر وأنزلتها في براغ. وكان أهل براغ يسألون الجنود الروس: **لماذا جئتم؟** فيجيبون: **لحماية الاشتراكية**. وقد وضع حينئذٍ بريجينيف مبدأه الذي يجعل حق السيادة لدول المجموعة الاشتراكية محدوداً، بحيث أنها لو أرادت تعديل نظامها لا يحق لها، وإذا تمردت فإنه يحق لروسيا تأديبها بالقوة.

لقد لمس غورباتشوف أن جميع دول المنظومة الاشتراكية في حالة غليان بما فيها جمهوريات الاتحاد السوفياتي نفسه. وهو يعرف أن دول الغرب تحاول إثارة الثورات كما حصل في براغ عام ١٩٦٨ أو في بودابست عام ١٩٥٦. ووجد أن روسيا لا تستطيع أن تطبق الآن مبدأ السيادة المحدودة الذي وضعه بريجينيف. فرأى أن الحل المناسب هو تنفيس الاحتقان، ورفع الضغط المفروض على شعوب البلاد الاشتراكية. فوضع خطة البريسترويكا. وبدأت عمليات التنفيس التي نراها الآن.

إن غورباتشوف يأمل أن يطول عمر الاشتراكية (ولو محرفة) بعد هذه التنفيسات والترقيعات، التي لولاها لكانت حصلت انفجارات أودت بالاشتراكية والاشتراكيين.

ولهذا السبب فإن جمهرة المفكرين في روسيا وسائر الدول الاشتراكية يريدون ما راء غورباتشوف من إدخال التحريفات باسم الإصلاحات.

ويعود لسؤال: **هل ما يحصل هو انحراف عن الشيوعية أو انهيارها، أو هو إصلاحات تضمن بقاءها؟**

وللإجابة عن هذا السؤال لا بد أن ننظر في الأمور الجديدة التي أدخلت. فإن كانت تقوم على الأسس نفسها للفكرة الأصلية كان الأمر مجرد اجتهاد، وكانت الأمور الجديدة عبارة عن فروع لتلك الأصول، وهذا لا يعد انحرافاً ولا خروجاً.

أما إن كانت الأمور الجديدة تتعارض مع الأسس الأصلية، أو كانت لا تنبثق من تلك الأسس كان الأمر عندئذٍ انحرافاً وخروجاً.

الفكرة الماركسية (المبدأ الشيوعي) لا توجد فيها القدرة على حل جميع المشاكل الإنسانية التي تجد مع اختلاف الزمان والمكان، لأنها من وضع بشر عاجز ناقص محدود. ولذلك سيجد أتباعها أنفسهم مضطرين إلى تأويلها وتحريفها والخروج عنها، وإلا فإنهم سيجمدون في مكانهم أو سيضطرون للواقع الذي يجرفهم أو يجرف أفكارهم.

والذي يحصل للشيوعية الآن هو اصطدامها بالواقع مما جعل أصحابها يتخلون عنها إما بشكل صريح وإما بالتأويل والتحريف وكلا الأمرين هو انهيار للشيوعية

وجوب اقامة الخليفة

الخلافة هي رئاسة عامة للمسلمين جميعا في الدنيا لإقامة احكام الشرع، وحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم. وهي عينها الإمامة. فالإمامة والخلافة بمعنى واحد. وقد وردت الاحاديث الصحيحة بهاتين الكلمتين بمعنى واحد. ولم ير لأي منهما معنى يخالف معنى الأخرى في اي نص شرعي، اي لا في الكتاب ولا في السنة لأنهما وحدهما النصوص الشرعية. ولا يجب ان يُلتزم هذا اللفظ اي الإمامة او الخلافة وإنما يلتزم مدلوله.

وإقامة خليفة فرض على كافة المسلمين في جميع اقطار العالم. والقيام به كالقيام باي فرض من الفروض التي فرضها الله على المسلمين. وهو امر محتم لا تخيير فيه ولا هوادة في شانه، والتقصير في القيام به معصية من اكبر المعاصي يعذب الله عليها اشد العذاب.

والدليل على وجوب إقامة الخليفة على المسلمين كافة: السنة وإجماع الصحابة. أما السنة فقد روي عن نافع قال: قال لي عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خلع يدا من طاعة الله لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فرض على كل مسلم أن تكون في عنقه بيعة، ووصف من يموت وليس في عنقه بيعة بانه مات ميتة جاهلية. والبيعة لا تكون إلا للخليفة ليس غير. وقد اوجب الرسول على كل مسلم ان تكون في عنقه بيعة لخليفة، ولم يوجب أن يبايع كل مسلم الخليفة. فالواجب هو وجود بيعة في عنق كل مسلم، أي وجود خليفة يستحق في عنق كل مسلم بيعة بوجوده. فوجود الخليفة هو الذي يوجد في عنق كل مسلم بيعة سواء بايع بالفعل ام لم يبايع، ولهذا كان الحديث دليلاً على وجوب نصب الخليفة، وليس دليلاً على وجوب البيعة لأن الذي ذمه الرسول هو خلو عنق المسلم من بيعة حتى يموت، ولم يذم عدم البيعة. وروى هشام بن عروة عن ابي صالح عن ابي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «سيليكم بعدي ولاة فيليكم البر ببره، والفاجر بفجوره فاسمعوا لهم واطيعوا في كل ما وافق الحق، فإن أحسنوا فلكم وإن أساؤوا فلكم وعليهم» وروى مسلم عن الأعرج عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنما الامام جُنة يقاتل من ورائه ويُتقى به» وروى مسلم عن ابي حازم قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدث عن النبي ﷺ قال: «كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وانه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر، قالوا فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم» وعن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية» فهذه الاحاديث فيها إخبار من الرسول بانه سيلي المسلمين ولاة، وفيها وصف للخليفة بانه جُنة اي وقاية. فوصف الرسول بان الامام جنة هو إخبار عن فوائد وجود الامام فهو طلب، لأن الإخبار من الله ومن الرسول إن كان يتضمن الذم فهو طلب ترك اي نهي، وإن كان يتضمن المدح فهو طلب فعل. فإن كان الفعل المطلوب يترتب على فعله إقامة الحكم الشرعي أو يترتب على تركه تضييعه كان ذلك الطلب جازماً. وفي هذه الاحاديث ايضاً أن الذين يسوسون المسلمين هم الخلفاء، وهو يعني طلب إقامتهم، وفيها تحريم أن يخرج المسلم من السلطان. وهذا يعني أن إقامة المسلم سلطاناً أي حكماً له امر واجب على أن الرسول ﷺ امر بطاعة الخلفاء، وبقتال من ينازعهم في خلافتهم وهذا يعني أمراً بإقامة خليفة،والمحافظة على خلافته بقتال كل من ينازعه: فقد روى مسلم أن النبي ﷺ

قال: «ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر» فالأمر بطاعة الامام أمر بإقامته، والأمر بقتال من ينازعه قرينة على الجزم في دوام إيجاده خليفة واحداً.

وأما إجماع الصحابة فإنهم رضوان الله عليهم **اجمعوا على لزوم إقامة خليفة لرسول الله ﷺ بعد موته، واجمعوا على إقامة خليفة لابي بكر ثم لعمر ثم لعثمان بعد وفاة كل منهم.** وقد ظهر تأكيد إجماع الصحابة على إقامة خليفة من تأخيرهم دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عقب وفاته واشتغالهم بنصب خليفة له، مع أن دفن الميت عقب وفاته فرض، ويحرم على من يجب عليهم الاشتغال في تجهيزه ودفنه الاشتغال في شيء غيره حتى يتم دفنه. **والصحابة الذين يجب عليهم الاشتغال في تجهيز الرسول ودفنه اشتغل قسم منهم بنصب الخليفة عن الاشتغال بدفن الرسول وسكت قسم منهم عن هذا الاشتغال وشاركوا في تأخير الدفن ليلتين مع قدرتهم على الإنكار وقدرتهم على الدفن فكان ذلك إجماعاً على الاشتغال بنصب الخليفة عن دفن الميت ولا يكون ذلك إلا إذا كان نصب الخليفة اوجب من دفن الميت** وايضاً فإن الصحابة كلهم اجمعوا طوال أيام حياتهم على وجوب نصب الخليفة، ومع اختلافهم على الشخص الذي ينتخب خليفة **فإنهم لم يختلفوا مطلقاً على إقامة خليفة** لا عند وفاة رسول الله ولا عند وفاة أي خليفة من الخلفاء الراشدين. فكان إجماع الصحابة دليلاً صريحاً وقوياً على وجوب نصب الخليفة.

على ان إقامة الدين وتنفيذ احكام الشرع في جميع شؤون الحياة الدنيا والاخرى فرض على المسلمين بالدليل القطعي الثبوت القطعي الدلالة ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بحاكم ذي سلطان والقاعدة الشرعية «ان ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» فكان نصب الخليفة فرضاً من هذه الجهة ايضاً

وفوق ذلك فإن الله تعالى أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يحكم بين المسلمين بما انزل وكان أمره له بشكل جازم. قال تعالى مخاطباً الرسول عليه السلام: ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ وقال: ﴿وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾. وخطاب الرسول خطاب لامته ما لم يرد دليل يخصصه به، وهنا لم يرد دليل فيكون خطاباً للمسلمين بإقامة الحكم. ولا يعني إقامة الامام الا إقامة الحكم والسلطان. على أن الله تعالى فرض على المسلمين طاعة ولي الامر أي الحاكم، مما يدل على وجوب وجود ولي الامر على المسلمين. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ ولا يأمر الله بطاعة من لا وجود له. ولا يفرض طاعة من وجوده مندوب، فدل على أن إيجاد ولي الأمر واجب. فالله تعالى حين أمر بطاعة ولي الأمر فإنه يكون قد أمر بإيجاده. فإن وجود ولي الأمر يترتب عليه إقامة الحكم الشرعي وترك إيجاده يترتب عليه تضييع الحكم الشرعي فيكون إيجاده واجباً لما يترتب على عدم إيجاده من حرمة وهي تضييع الحكم الشرعي.

فهذه الادلة صريحة بأن إقامة الحكم والسلطان على المسلمين منهم فرض، وصريحة بأن إقامة خليفة يتولى هو الحكم والسلطان فرض على المسلمين وذلك من أجل تنفيذ أحكام الشرع لا مجرد حكم وسلطان. انظر قوله ﷺ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم. قيل يا رسول الله أفلا ننابزهم بالسيف؟ فقال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة» فهو صريح في الاخبار بالائمة الاخيار والائمة الاشرار، وصريح بتحريم منابذتهم بالسيف ما اقاموا الدين لان إقامة الصلاة كناية عن إقامة الدين والحكم به. فكون إقامة الخليفة ليقيم احكام الاسلام ويحمل دعوته فرضاً على المسلمين أمر لا شبهة في ثبوته في نصوص الشرع الصحيحة فوق كونه فرضاً من جهة ما يحتمه الفرض الذي فرضه الله على المسلمين من إقامة حكم الاسلام وحماية بيضة المسلمين. إلا أن هذا الفرض فرض على الكفاية فإن اقامه البعض فقد وجد الفرض وسقط عن الباقين هذا الفرض، وإن لم يستطع ان يقيمه البعض ولو قاموا بالأعمال التي تقيمه فإنه يبقى فرضاً على جميع المسلمين، ولا يسقط الفرض عن أي مسلم ما دام المسلمون بغير خليفة.

والقعود عن إقامة خليفة للمسلمين معصية من اكبر المعاصي لانها قعود عن القيام بفرض من أهم فروض الاسلام ويتوقف عليه إقامة أحكام الدين بل يتوقف عليه وجود الاسلام في معترك الحياة. فالمسلمون جميعاً آثمون إثماً كبيراً في قعودهم عن إقامة خليفة للمسلمين. فإن اجمعوا على هذا القعود كان الاثم على كل فرد منهم في جميع اقطار المعمورة وإن قام بعض المسلمين بالعمل لإقامة خليفة ولم يقم البعض الآخر فإن الاثم يسقط عن الذين قاموا يعملون لإقامة الخليفة ويبقى الفرض عليهم حتى يقوم الخليفة. لان الاشتغال بإقامة الفرض يسقط الإثم على تأخير إقامته عن وقته وعلى عدم القيام به لتلبسه بالقيام به، ولاستكراهه بما يقهره عن إنجاز القيام به. أما الذين لم يتلبسوا بالعمل لإقامة الفرض فإن الإثم يعد ثلاثة أيام من ذهاب

الخليفة إلى يوم نصب الخليفة يبقى عليهم لأن الله قد أوجب عليهم فرضاً ولم يقوموا به ولم يتلبسوا بالأعمال التي من شأنها أن تقيمه ولذلك استحقوا الإثم فاستحقوا عذاب الله وخزيه في الدنيا والآخرة. واستحقاقهم الإثم على قعودهم عن إقامة خليفة أو عن الأعمال التي من شأنها أن تقيمه ظاهر صريح في استحقاق المسلم العذاب على تركه أي فرض من الفروض التي فرضها الله عليه لا سيما الفرض الذي به تنفذ الفروض وتقام أحكام الدين ويعلو أمر الإسلام وتصبح كلمة الله هي العليا في بلاد الإسلام وفي سائر أنحاء العالم.

وأما ما ورد في بعض الأحاديث من العزلة عن الناس ومن الإقتصار على التمسك بأمور الدين في خاصته فإنها لا تصلح دليلاً على جواز القعود عن إقامة خليفة ولا على إسقاط الاثم عن هذا القعود. والمدقق فيها يجدها في شأن التمسك بالدين لا في شأن الترخيص بالقعود عن إقامة خليفة للمسلمين فمثلاً روى البخاري عن بسر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع أبا ادريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال نعم. قلت وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال نعم وفيه دخن. قلت وما دخنه؟ قال قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال نعم. دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت يا رسول الله صفهم لنا. قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت فما تأمرني ان أدركني ذلك؟ قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام. قال فاعتزل تلك الفرق كلها. ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» فإن هذا الحديث صريح بأن الرسول يأمر المسلم بأن يلزم جماعة المسلمين وان يلزم إمامهم. ويترك الدعاة الذين هم على أبواب جهنم. فسأله السائل في حالة أن لا يكون للمسلمين إمام ولا جماعة ماذا يصنع بالنسبة للدعاة الذين على أبواب جهنم. فحينئذ أمره الرسول بأن يعتزل هذه الفرق لا أن يعتزل المسلمين ولا أن يقعد عن إقامة إمام، فأمره صريح «فاعتزل تلك الفرق كلها» وبالغ في وصف اعتزاله لتلك الفرق إلى درجة أنه ولو بلغ اعتزاله إلى حد أن يعض على أصل شجرة حتى يدركه الموت وهو على ترك تلك الفرق التي على أبواب جهنم. ومعناه تمسك بدينك وبالبعد عن الدعاة المضلين الذين على أبواب جهنم. فهذا الحديث ليس فيه أي عذر لترك القيام بالعمل لإقامة خليفة ولا أي ترخيص في ذلك. وإنما هو محصور على الأمر بالتمسك بالدين واعتزال الدعاة الذين على أبواب جهنم، ويبقى الإثم عليه إذا لم يعمل لإقامة خليفة. فهو مأمور بأن يبتعد عن الفرق الضالة ليسلم بدينه من دعاة الضلال ولو عض على أصل شجرة لا أن يبتعد عن جماعة المسلمين ويقعد عن القيام بأحكام الدين وعن إقامة إمام للمسلمين.

ومثلاً روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن». فإن هذا لا يعني اعتزال جماعة المسلمين والقعود عن القيام بأحكام الدين وعن إقامة خليفة للمسلمين حين تخلو الأرض من الخلافة، بل كل ما فيه هو بيان خير مال المسلم في أيام الفتن وخير ما يفعله للهروب من الفتن وليس هو للحث على البعد عن المسلمين واعتزال الناس.

وعليه فإنه لا يوجد عذر لمسلم على وجه الأرض في القعود عن القيام بما فرضه الله عليهم لإقامة الدين الا وهو العمل لإقامة خليفة للمسلمين حين تخلو الأرض من الخلافة وحين لا يوجد فيها من يقيم حدود الله لمفظ حرمات الله، ولا من يقيم أحكام الدين ويجمع شمل جماعة المسلمين تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله. ولا توجد في الإسلام أية رخصة في القعود عن القيام بهذا الفرض حتى يقوم.

والمدة التي يمهل فيها المسلمون لإقامة خليفة هي ليلتان: فلا يحل لمسلم أن يبيت ليلتين وليس في عنقه بيعة. أما تحديد أعلى الحد بليلتين فلأن نصب الخليفة فرض منذ اللحظة التي يتوفى فيها الخليفة السابق أو يعزل. ولكن يجوز تأخير النصب مع الاشتغال به مدة ليلتين فإذا زاد على ليلتين ولم يقيموا خليفة ينظر، فإن كان المسلمون مشغولين بإقامة خليفة ولم يستطيعوا إنجاز إقامته خلال ليلتين لأمور قاهرة لا قبل لهم بدفعها، فإنه يسقط الإثم عنهم لانشغالهم بإقامة الفرض ولاستكراههم على التأخير بما قهرهم عليه. قال عليه السلام: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» وإن لم يكونوا مشغولين بذلك فإنهم يأثمون جميعاً حتى يقوم الخليفة، وحينئذ يسقط الفرض عنهم. أما الإثم الذي ارتكبوه في قعودهم عن إقامة خليفة فإنه لا يسقط عنهم بل يبقى عليهم يحاسبهم الله عليه كمحاسبته على أي معصية يرتكبها المسلم في ترك القيام بالفرض.

أما كون المدة التي يمهل فيها المسلمون للقيام

بفرض إقامة خليفة ليلتين فإن الدليل عليه هو أن الصحابة باشروا الاجتماع بالسقيفة للبحث في نصب خليفة لرسول الله منذ بلغهم نبأ وفاته، ولكنهم ظلوا في نقاش في السقيفة ثم في اليوم الثاني جمعوا الناس في المسجد للبيعة فاستغرق ذلك ليلتين بثلاثة أيام. وأيضاً فإن عمر عهد لأهل الشورى عند ظهور تحقق وفاته من الطعنة، وحدد لهم ثلاثة أيام ثم أوصى أنه إذا لم يتفق على الخليفة في ثلاثة أيام فليقتل المخالف بعد الأيام الثلاثة ووكل خمسين رجلاً من المسلمين بتنفيذ ذلك أي بقتل المخالف، مع أنهم من أهل الشورى ومن كبار الصحابة. وكان ذلك على مرأى ومسمع من الصحابة. ولم ينقل عنهم مخالف أو منكر ذلك. فكان إجماعاً من الصحابة على أنه لا يجوز أن يخلو المسلمون من خليفة أكثر من ليلتين بثلاثة أيام وإجماع الصحابة دليل شرعي كالكتاب والسنة.

من كتاب (الخلافة)

للشيخ تقي الدين النبهاني رحمه الله

من أقوال زكي بدر في المحكمة!

مثل وزير داخلية مصر أمام المحكمة في ٨٩/١٠/٢٦ كشاهد في مسرحية محاكمة تنظيم ما يسمى بـ «ثورة مصر» ومما قاله الوزير خلال الادلاء بشهادته: -

الدفاع: هل حضرت أحد اجتماعات نادي الليونز في آذار (مارس) ١٩٨٨ م؟

زكي بدر: نعم.

الدفاع: هل سئلت يومها عن دور أحمد عصام الدين والسفارة الأمريكية في القضية؟

زكي بدر: لا شأن للسفارة الأمريكية بالقضية ولا صلة بيننا وبين السفارة الأمريكية.

الدفاع: السؤال هو: هل سُئلت يومها عن دور السفارة الأمريكية؟

زكي بدر: لا أذكر. وإذا كان قد حدث فهذه هي اجابتي التي لا تتغير

الدفاع: ذكرت صحيفة «الوفد» في آذار (مارس) ١٩٨٨ نقلاً عن وكالات الأنباء أنك قلت أن هناك تعاوناً امنياً بين أجهزة الأمن المصرية والسفارة الأمريكية، فما هو تعليقك؟

زكي بدر: هناك تعاون بين الدول وليس بين السفارات ووزارة الداخلية. ويوجد بالفعل تعاون بيننا وبين بعض الدول الأجنبية في المجال الأمني، لكن في هذه القضية لم يحدث اتصال بيننا وبين الأمريكان.

الدفاع: هناك تعاون أمني كما ذكرت مع دول أجنبية؟

زكي بدر: توجد أساليب للتعاون الأمني، لكن نشرها يضر بالسياسة الأمنية، لكني أضرب مثلاً بسيطاً يحدث مثل التدريب في الدول المتقدمة كأمريكا وغيرها لمكافحة الارهاب واختطاف الطائرات وتلقي معلومات لتنمية قدرات الضباط والتدريب على الطرق الحديثة في المكافحة للارهاب والتهريب وغيرها من مكافحة للمخدرات والتنظيمات الدولية.

الدفاع: ألا تعتبر هذه القضية من قضايا الارهاب؟ التي يتم فيها التعاون مع دول أجنبية؟

زكي بدر: نعم ولكن لم يحدث اتصال لا بالسفارة الأمريكية ولا بالحكومة الأمريكية.

الدفاع: ما رأيك في قتل الأطفال الفلسطينيين؟

وضجت قاعة المحكمة بالضحك من قبل الحضور لأن الوزير تساءل بأسلوب مسرحي: هذا السؤال لي أنا؟

زكي بدر: ليس بيننا من يقبل الاعتداء على الأطفال أو أحد أفراد الشعب الفلسطيني. ولكني أتصور أن هذا السؤال لا علاقة له بالقضية

الدفاع: تجاوز عدد العرب الفلسطينيين المقتولين في اسرائيل ٣٠٠ قتيل عام ٨٨ فهل قدم أحد الاسرائيليين للمحاكمة بتهمة قتل أو اعتقال العرب؟

زكي بدر: هذا شيء في فلسطين ليس لدي معلومات عنه. وأحب أن أضيف أن تنظيم ثورة مصر سابق على كل هذه الأحداث

استئناف الحياة الاسلامية

سيد قطب

الذين يفزعون حين ندعو الى استئناف حياة اسلامية، والى اقامة مجتمع اسلامي، ويتخوفون ان يكون في هذا الاتجاه ما يجور على طائفة، أو يوقع الاضطرابات في علاقة..

هؤلاء: انما يقيمون فزعهم وتخوفهم على غير اساس، ويستمدونها من الجهل بحقيقة الحياة الاسلامية وطبيعة المجتمع الاسلامي

اننا ندعو الى عالم افضل حين ندعو الى استئناف حياة اسلامية، والى اقامة مجتمع اسلامي.. واننا ندعو الى عدالة اجتماعية أكمل من كل تصور للعدالة الاجتماعية، في اي نظام آخر عرفته البشرية. كما ندعو الى تنسيق أجمل لطبقات الامة وطوائفها وافرادها جميعاً.

ان العالم الآن يعاني حيرة فكرية واجتماعية، ويعاني اضطراباً في نظمه وأوضاعه، ويعاني قلقاً لا اطمئنان فيه على نظام للحكم أو نظام للحياة، ويجد العاملون على الأوضاع القائمة، في كثير من بلاد العالم الفرصة السانحة للهدم: هدم النظم السياسية، والنظم الاجتماعية، لأن هذه النظم اصبحت مزعزعة وعلى وشك الانهيار، حتى في البلاد التي تظن أن نظمها ثابتة، وانها تملك من القوى المادية ما تدافع به عن هذه النظم.

ولكن النظم لا تحميها المدافع والدبابات، والقنابل الذرية، والجيوش والبوليس، وان النظم تعيش لأنها تلبي حاجة طبيعية في حياة المجتمع، وحاجة شعورية في ضمائر الناس. فاما حين تفقد هذين السندين، فان قوة الحديد والنار لن تكتب لها الحياة، وعبر الحياة كلها تنطق بهذه الحقيقة، التي لم تكذب على مدى التاريخ.

فنحن حين ندعو الى استئناف حياة اسلامية والى اقامة مجتمع اسلامي، انما نريد ان نتقي الهزات الاجتماعية المدمرة، وان نقيم حياتنا كذلك على أرض صلبة، وعلى اسس أعمق من الأسس المزعزعة التي لا تستند الى عقيدة، ولا ترتكز الى فكرة.. وفي الوقت ذاته نطلب لنا ولكل من يهتدي بهدينا، حياة افضل في عالم افضل.

ان النظام الاسلامي، هو النظام الوحيد في العالم اليوم، الذي يقوم على أساس فكرة «العالمية» بمعناها الصحيح. لانه النظام الوحيد الذي يسمح بأن تعيش في ظله جميع الأجناس وجميع اللغات وجميع العقائد، في سلام.. وذلك الى جانب تحقيق العدالة المطلقة بين جميع الأجناس وجميع اللغات، وجميع العقائد.

والماركسية تدعي انها تهدف الى نظام عالمي ولكن أي نظام عالمي لا يمكن أن يقوم بلا حرية في العقيدة، وبلاد الستار الحديدي كلها تحرم قيام عقيدة فيها غير العقيدة المادية، ومن لا يعتنقون هذه العقيدة لا يستطيعون مزاولة نشاطهم في الاتحاد السوفياتي أو سواه، ذلك اذا استطاعوا مجرد الحياة!

اننا ندعو الى نظام، تستطيع جميع العقائد الدينية أن تعيش في ظله بحرية وعلى قدم المساواة، ويتحتم فيه على الدولة وعلى جماعة المسلمين، القيام بحماية حرية العقيدة، وحرية العبادة للجميع، وأن يلجأ غير المسلمين في أحوالهم الشخصية الى دياناتهم كذلك، وأن يكون لجميع المواطنين فيه حقوق وتبعات متساوية، بدون تمييز... وأن يرتكز هذا كله على عقيدة في الضمير، لا على مجرد التشريعات والنصوص، التي لا تكفي وحدها للتنفيذ السليم.

اننا ندعو الى نظام، يملك جميع أجناس العالم، من سود وبيض وحمر وصفر أن تعيش في ظله بحرية، وعلى

قدم المساواة بلا تفريق بين العناصر والالوان واللغات. لأن البشرية تجمعهم، بلا تمييز عنصري ولا محاباة فيه.

اننا ندعو الى نظام، الحاكمية فيه لله وحده، لا لفرد من البشر، ولا لطبقة ولا لجماعة. وبذلك تتحقق فيه المساواة الحقيقية. ولا يكون لحاكم فيه حقوق زائدة على حقوق الفرد العادي من الشعب. ولا تكون هناك شخصية او شخصيات مقدسة فوق مستوى القانون. ولا تكون هناك محاكم خاصة للشعب، ومحاكم خاصة للوزراء او غير الوزراء. انما يقف فيه الحاكم الأعلى مع أي فرد من الشعب أمام القضاء بلا تمييز ولا استعلاء.

اننا ندعو الى نظام يجعل لجميع المواطنين حقاً عاماً في الثروة العامة. لان الملكية فيه أصلها للجماعة ـ مستخلفة فيها عن الله ـ والملكية الفردية عارضة، وفي حدود الانتفاع والفضل للجماعة حين تحتاج الى فضول الاموال.

اننا ندعو الى نظام، يقوم على أساس التكافل الاجتماعي، بكل صوره ومعانيه، فلا يجوع فيه فرد أو يظمأ، وفي يد فرد آخر فضلة زائدة من ماله.. ثم يعمهم التكافل ويوسع دائرته. فالجماعة مسؤولة عن كل فرد فيها، في اعداده للعمل، وتهيئة العمل له، وعن رعايته في اثناء العمل.. ثم عن كفالته اذا احتاج بعد ذلك، أو تعطل، أو عجز لسبب من الاسباب. لا تفرق في هذا التكافل بين عقيدة وعقيدة ولا بين جنس وجنس، ولا بين طبقة وطبقة.

نحن ندعو الى نظام انساني يقيم علاقاته الدولية على أساس المسالمة والمودة، بينه وبين كل من لا يحاربونه، ولا يعادونه، ولا يؤذون معتنقيه، ولا يفسدون في الأرض، ولا يظلمون الناس. فهو لا يحارب الا المعتدين المفسدين الظالمين.

نحن ندعو الى هذا النظام. فما الذي يخيف فرداً أو طائفة أو دولة، من أن يقوم مثل هذا النظام، في أي بقعة من بقاع الارض، وخاصة اذا كان هذا النظام قائماً على أسس اخلاقية وطيدة، ومشاعر وجدانية عميقة، تضمن تنفيذ مبادئه، بدافع من داخل النفس، لا بمجرد القوة والسلطان.

ان قيام مثل هذا النظام، في بقعة من الأرض، يعد ضماناً للبشرية كلها، من الانحدار والتردي والهدم والتخريب لانه يقيم لها منارة في وسط الظلام والاعاصير، يمكن أن تهتدي بها وتفيء الى شاطىء الامن والسلام.

والبشرية اليوم في مفترق الطرق. وهناك اضطراب في الأفكار، وحيرة في الاتجاهات، وزعزعة في النظم. فما الذي يؤذي هذه البشرية ـ او فريقاً منها ـ حين يقوم نظام أخلاقي كي يحقق لها العدالة والطمأنينة والحرية والمساواة؟

انه لا بد للمجتمعات اليوم من عقيدة. فحواء المجتمعات الغربية من العقيدة يجرفها دولة بعد دولة وشعباً بعد شعب الى هاوية المادية. وهذه المجتمعات الغربية لا تملك أن تدفع عن نفسها هذه الكارثة لانها تعتمد على القوة وحدها في دفع مذهب يصوغ نفسه في شكل عقيدة. أما نحن فاننا نملك.. أن لدينا فرصة ليست متاحة للغربيين. اننا نملك اقامة نظامنا الاجتماعي على أساس عقيدة اقوى وأشمل وأكمل. فمن الحق اذن: أن نفرط في هذه الفرصة تقليداً للمجتمعات الغربية، التي تترنح وفي يدها القوى المادية بكل صنوفها. ونحن لا نملك الا القليل من هذه القوى.

أريد أن أسأل: ما الذي يخيف جماعة أو دولة من هذا النظام، الذي يقوم على عقيدة تحميه وهو يحمي الجميع، ويقدم العدل للجميع، ويدفع عن نفسه هجمات المادية، بحكم ما فيه من مناعة، ومن قوة ذاتية، ومن تفوق في بنائه الفكري والاجتماعي؟

انهم يتحدثون عن الفراغ، الذي يحدثه انسحاب جيوش الاستعمار من الشرق العربي الاسلامي! ويخشون أن تدهمنا الشيوعية! فان كانوا صادقين في هذا فلماذا لا يدعوننا نسد الفراغ الاجتماعي في كياننا باقامة نظام سليم، وطيد الأركان، متصل بعقائدنا الثابتة، وهو في الوقت ذاته عادل حر، يملك جميع البشر أن يعيشوا في ظله بسلام؟

لماذا يقفون في طريق تحقيق هذا النظام بنفوذهم المباشر. وهذا النظام يقوم في صدر تيار الشيوعية عنا مقام مائة فرقة على الاقل، ومقام عشرات القواعد العسكرية والحصون. هذه القواعد، التي لم تدفع عنهم في بلادهم زعزعة النظم الاجتماعية وتسرب الشيوعية؟

انهم يحاربون هذا النظام؛ لانه حين يقوم سيطارد الاستعمار كما يطارد الشيوعية. ولن يسمح لأي لون من الوان الاستعمار تحت أي اسم، وتحت أي ستار، أن يعيش في هذا الوادي، ولا في الوطن الاسلامي كله.

لهذا هم يحاربون هذا النظام العادل الكامل، الذي يستمتع بحمايته وعدله أتباع ديانته ومخالفوه على السواء.

فلندرك نحن هذه الحقيقة، ان كان لنا عقل، وان كان فينا ادراك. فقد آن أن نرتفع في التقليد على مرتبة البيغاوات والقرود

بين العقل و الدين

بقلم محمود عبد الكريم حسن

هناك من يصنّف المعرفة في ثلاث دوائر: دائرة العلم ودائرة الفلسفة ودائرة الدين. وهناك من يجعلها في دائرتين: العقل والدين. والحقيقة هي ان المعرفة تقوم على اصل واحد هو العقل. فالعلم (بمعناه التجريبي) يستند الى العقل. والدين يستند الى العقل. فلا يصح قبول اي شيء من الدين الا اذا قام الدليل عليه من العقل، او قام الدليل على اصله من العقل.

اما الذين يعتبرون الدين بانه مجرد تسليم وجداني بدون اي دليل عقلي فانهم ضالّون اما الفلسفة (بمعنى البحث فيما هو غير مادة عن طريق العقل وحده)فهي ليست من المعرفة بل هي ضرب من التخيلات والاوهام.

عندما قال الشيوعيون «الدين افيون الشعوب» جعلوا كلمة الدين مطلقة وفسدوا بها اي دين ومنها الدين الإسلامي. وربما يكون قولهم صحيحا بالنسبة لبعض الاديان، ولكنه لا يمكن ان يصح بالنسبة للإسلام. وهذا ما نشاهده بوضوح من أثر الإسلام وفعله في الذين نزل فيهم يتحويله لهم من حال تأخر وانحطاط وتبعية وعصبية، إلى حال نهضة ورقيّ وسيادة، وإلى حمل رسالة حق وهدى إلى البشرية جمعاء.

فالدين الإسلامي لا يدعو إلى الإيمان بالاساطير والترهات، ولا يدعو إلى إهمال العقل وإلغاء دوره في موضوع الإيمان أو في موضوع التسليم بالحقائق الشرعية. وإنما هو يجعل العقل اساسا لعقيدته، بل ويجعله اساسا لكل ما يمكن ان يكون للعقل فيه دور. ويرفض الإيمان او التسليم بأي قول أو طرح أو عقيدة تتناقض مع العقل. ولذلك فهو ينعي على الذين يؤمنون بالخرافات والأوهام والتصورات غير المطابقة للواقع مثل تعدد الآلهة، او نفي وجود الخالق او عبادة الأصنام او الإيمان بالوهية بشر، أو الإيمان بأن لله ولدا، سبحانه وتعالى. قال تعالى في سورة نوح: ﴿وقالوا لا تَذَرُنَّ

آلهتكم ولا تَذَرُنَّ وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾. وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾، ثم قال: ﴿أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم﴾ وقال تعالى في سورة القصص: ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾.

وقد انزل الله سبحانه وتعالى الإسلام على سيدنا محمد ﷺ وجعل العقل مناط التكليف. فمن كان عاقلاً يفهم الخطاب مطلوبٌ منه الإيمان بعقيدة الإسلام والالتزام بأحكامه. ومن كان مجنوناً أو لا يميز ولا يفهم الخطاب فقد رفع عنه القلم، أي أنه غير مكلف. قال رسول الله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق» فالإسلام قد جعل العقل مناط التكليف مما يدل على

الدور الذي جعله الشارع للعقل في تلقي الخطاب من حيث فهمه وتمييزه عن غيره ومن حيث التسليم به أو عدم التسليم، والخطاب المقصود هنا ليس هو الخطاب المتعلق بالفعل وحسب، وإنما هو الخطاب المتعلق بالفعل والإيمان.

ولذلك فإن الإسلام عندما يدعو إلى الإيمان بالله فإنه يدعو الإنسان لأن ينظر ويفكر ويهتدي بعقله فيحكم به بوجود الخالق. قال تعالى في سورة الطارق ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ وقال تعالى في سورة البقرة ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾. وقال تعالى في سورة آل عمران ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ فالإيمان بالله أساسه الصحيح العقل ليس غير، وكذلك عندما طلب النبي ﷺ من الناس أن يؤمنوا به نبياً ورسولاً من عند الله وبالقرآن أنه كلام الله. لم يكن قوله هذا بغير برهان أو دليل إثبات، بل إنه أتى للناس من عند الله بحجة تقنع العقول فتحق الحق وتبطل الباطل وترد زعم المبطلين، فقد أتى بالقرآن معجزة ودليلاً على أنه رسول الله وأن القرآن كلام الله. وبالعقل وحده يحكم الإنسان أن القرآن كلام الله وأن محمداً ﷺ رسول الله. ولا يمكن أن يثبت النبي نبوته أو رسالته ما لم يكن معه البرهان القاطع الذي يقنع العقل فيحمله على الحكم بثبوت النبوة أو الرسالة.

وهكذا فإن العقل هو أساس الإيمان بالله تعالى وبأن القرآن كلام الله وأن محمداً ﷺ رسول الله. ولو كان يصح الإيمان من غير تفكير واقتناع لكان يصح بمن يدعي النبوة كاذبا أو بمن يحمل للناس رسالة من عنده مدعيا أنها من عند الله. والعقل هو الذي حكم بصحة قول ﴿لا إله إلا الله﴾ وبخطأ قول «المادة أزلية و غير مخلوقة» وهو الذي حكم بصحة ﴿محمد رسول الله﴾ وبخطأ القول بأنه مجرد مصلح أو أنه ليس نبيا ورسولاً. والعقل هو الذي حكم بأن القرآن كلام الله وبأنه ليس أساطير الأولين ولا من عند البشر.

أما العقائد الأخرى التي لا دور للعقل فيها كالإيمان بالملائكة وبالجن والشياطين وبيوم القيامة وبالحساب وبالجنة والنار. فقد ثبت بثبوت أصلها. فإنه لما ثبت بالعقل أن القرآن كلام الله، وكانت هذه مما جاء في القرآن أي مما أخبرنا به الله تعالى، وجب الإيمان بها لذلك فإن هذه الأشياء وإن كان العقل لا يستطيع أن يبحث فيها لعجزه وقصوره، وإن كان دليلاً نقلياً وحسب، وليس عقلياً - أي أن البرهان عليها يكون بإيراد النصوص التي فيها الدلالة عليها - فإن أصلها وهو القرآن الكريم قد ثبت بالعقل. وما ثبت أصله بالعقل فهو أيضاً ثابت بالعقل.

وعلى ذلك فالعقل هو الأساس في الإيمان، والعقائد كلها والأفكار كلها والأحكام كلها والآراء كلها إن كانت مما ينظر فيها إلى الصحة والخطأ، فإنها لا تثبت إلا بالعقل أو بما ثبت أصله بالعقل، ومن كان يأخذ عقيدته أو أفكاره بغير العقل أو بغير ماثبت أصله بالعقل، فإنه يهمل عقله ويلغي دوره، وبذلك فإنه يهبط بنفسه عن المكانة التي كرمه الله بوضعه فيها، ويكون سبيله سبيل ما لا يعقل. قال تعالى في سورة الإسراء ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ وإنما كان تفضيلهم على غيرهم بالعقل ليس غير. وقال تعالى في سورة الفرقان ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾.

وما نخلص إليه هنا هو أن دور العقل بالنسبة للعقائد العقلية هو البحث والنظر والحكم على الأشياء بتقرير الحقائق. ودوره بالنسبة للعقائد النقلية أو السماعية هو فهم النصوص والإيمان بما ورد فيها بعد تقريره صدقها وصحتها.

أما بالنسبة للأحكام الشرعية فهي ليست مما ينظر فيه إلى الصحة والخطأ لأنها ليست حكماً على واقع لتقرير حقيقته أو لوصفه. فالحكم الشرعي ليس حكما على الواقع بأنه موجود أو غير موجود أو أنه طويل أو قصير، صغير أو كبير أبيض أو أسود أو أنه يُروي أو لا يُروي أو أنه قابل للاشتعال أو غير قابل أو غير ذلك مما هو نظيره. فهو ليس خبراً. وإنما هو مما ينظر فيه إلى الطاعة أو عدم الطاعة لأن الحكم الشرعي هو خطاب الشارع المتعلق بأفعال العباد. فهو متعلق بالفعل فحسب وليس بالإيمان. والأحكام الشرعية أوامرُ ونواهٍ من الله سبحانه وتعالى للعباد. فهي طلب قيام بفعل كالصلاة والصيام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإيجاد الخليفة والعمل على إزالة أحكام الكفر وتحويل الدار من دار كفر إلى دار إسلام أو طلب ترك لفعل كالزنا والربا والحكم بالكفر وموالاة الكفار وقتال المسلمين وغيرها أو تخيير بين الفعل والترك كالنزهة والسفر والمشي والجلوس والأكل والشرب وغيرها.

ودليل على ذلك لبيان ما يمكن للعقل أن يبحثه من حيث الصحة والخطأ وما لا يمكن له ذلك. قال تعالى في سورة النساء ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر قد ضل ضلالاً بعيداً﴾ فمما ورد في هذه الآية هو مما

يمكن للعقل أن يبحث في صحته أو عدم صحته فيما أن يؤمن وإما أن يكفر. فالله سبحانه وتعالى إما أن يكون موجوداً وإما أن لا يكون. وقد ثبت وجوده بالعقل. والملائكة كذلك إما أن يكون هناك ملائكة وإما أن لا يكون. وقد ثبت وجودهم بنص القرآن أي بما ثبت أصله بالعقل. وهكذا قل بالنسبة لقوله: ﴿وكتبه ورسوله واليوم الآخر﴾ فهذه الأشياء المذكورة هي مما ينظر العقل بصحته أو خطئه. وقد طلب الإيمان بها فالخطاب هنا متعلق بالإيمان وليس بالفعل.

وقال تعالى في سورة المائدة: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾. وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾. وقال تعالى في سورة النساء ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾. وقال تعالى في سورة المائدة ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم﴾. ففي الآية الأولى يأمر الله سبحانه وتعالى بترك أفعال معينة، وهنا لا يتأتى إلا الطاعة أو عدم الطاعة، أي ترك الفعل أو عدم تركه. وفي الآية الثانية يأمر الشارع بإقامة الصلاة وبإيتاء الزكاة وبالركوع مع الراكعين، أي يأمر بعمل معين. وإزاء هذا الأمر لا يتأتى إلا الطاعة أو عدم الطاعة. وفي الآية الثالثة يأمر الله تعالى بطاعته الله وبطاعة الرسول ﷺ وبطاعة أولياء الأمر من المسلمين. وهذا كله طلب للفعل الطاعة فيما يأمرون به أو فيما ينهون عنه أو فيما يُخيَّرون فيه. وفي الآية الرابعة يبين الشارع جواز الأكل من طعام أهل الكتاب أي يُخيِّر بين الأكل وعدم الأكل. فالآيات الأربع متعلقة بأفعال العباد لأنها مما طلب فيه القيام بفعل أو ترك فعل أو التخيير بين الفعل والترك. وليست متعلقة بالإيمان. وهي لا يتأتى حيالها إلا الالتزام بالأمر على الوجه الذي جاء فيه أو عدم الالتزام.

هذا هو الأساس الذي تبنى عليه الأحكام الشرعية. فما كان متعلقاً كقوله تعالى: ﴿أقيموا الصلاة﴾. فيها طلب فعل وطلب إيمان: الفعل هو إقامة الصلاة والإيمان هو الإيمان بأن الله طلب إقامتها. لا يقال هذا لأن قوله تعالى ﴿أقيموا﴾ أمرٌ فعل إقامة الصلاة، أما الإيمان بأن هذا الطلب هو من الله فإنه أتٍ من جهة إن هذه الآية قرآن والقرآن يجب الإيمان به، فوجب الإيمان بهذه الآية، ـ كغيرها من الآيات ـ وبما أن دلالتها قطعية وجب الإيمان بما فيها وهو فرضية الصلاة. ولذلك فالإيمان بالحكم الشرعي ليس آتياً من متعلق النص وإنما من كون النص وحياً من عند الله.

وينتج عن هذا أن الأحكام الشرعية لا يبحث بصحته أو الخطأ، لأن الحكم الشرعي أمر أو نهي أو تخيير. والصحة والخطأ هي مطابقة الخبر للواقع أو عدم مطابقته، وتجاه الأمر أو النهي أو التخيير لا يوجد سوى الطاعة بالالتزام أو عدم الطاعة بعدم الالتزام. ووظيفة العقل في الأحكام الشرعية هي أن يتأكد أولاً أنها جاءت من الوحي ثم أن يفهم مراد الوحي وليس أن يناقشه.

وخلاصة ما سبق أن العقل أساس في الحكم لبيان الفوائد الصحيحة من العقائد الباطلة. وما كان من العقائد غير خاضع لبحث العقل فإنه يتوقف فيه حتى يعرف أصله. فيحكم فيه العقل. والأحكام الشرعية أوامر ونواه ولا ينظر فيها إلى الصحة أو الخطأ وإنما: هل يجب طاعتها أولا. فيُنظرُ إلى مصدرها. فإن كان الوحي مصدرها وجب أن تطاع. قال تعالى في سورة الحشر: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾.

بقيت مسألة وهي التعارض المزعوم بين العقل والدين، أو كما يحلو للبعض أن يقول بين العلم والدين. وهي مسألة يجب أن لا تطرح إلا عندما يكون الدين غير مبني على العقل فيكون مجمعاً للخرافات والأوهام. وهذا ليس حال الإسلام. فالإسلام عقائد كلها مبنية على العقل أو على أصل بُنِيَ على العقل. وإذاك فالتعارض غير واقع.

والتعارض المزعوم إن كان متصوراً فإنه لا يوجد إلا بين خبر وخبر. كأن يكون خبر من الدين كتقرير وجود لشيء أو كوصف لواقع ما. أو كإيراد أخبار عن أحداث ماضية أو مستقبلية، وحكم متناقض من العقل عن وجود ذلك الشيء أو عن وصف ذلك الواقع أو عن تلك الأحداث. وبعبارة أخرى التعارض هو حكم العقل بعدم مطابقة خبر الدين للواقع. أو تصادم حكم العقل مع حكم الدين في الإخبار عن واقع. وبناء عليه لا يتأتى بحث التعارض بين العقل والأحكام الشرعية، لأن الحكم الشرعي ليس خبراً وإنما هو إنشاء، أي طلب فعل أو طلب ترك. وكما بينا سابقاً فإنه لا يبحث من جهة مطابقة الواقع أو عدمه.

والتعارض هذا يتصور منطقياً في ثلاث حالات لا رابع لها:

الحالة الأولى: أن يكون التعارض بين خبر قطعي من الدين وخبر ظني من العقل. وهنا يؤخذ خبر الدين القطعي ويُردُّ خبر العقل الظني مهما كانت درجة رجحانه. وخبر الدين نفسه كما بينا فيما سبق في هذا البحث مبني على العقل فالعقل إذن هو الذي يحكم بقطعيته أي يجزم بمطابقته للواقع. ويكون التعارض المتصور هنا تعارضاً بين حكمين عقليين أحدهما قطعي والآخر ظني. فيردُّ الظني ويحكم بعدم مطابقته للواقع

قطعا.

الحالة الثانية: أن يكون التعارض بين خبر ظني من العقل وخبر ظني من الدين، وفي هذه الحالة لا يُردُّ أي واحد منهما ردا قطعيا إلا إذا أصبح أحدهما قطعيا فيرد الآخر. أما إذا بقي كل واحد منهما على حاله فإنه لا يوجد قاعدة ثابتة برد أحدهما وقبول الآخر، وإنما يُعْمَدُ إلى ترجيح أحدهما على الآخر بطريقة بحث صحيحة، كأن يتم ترجيح خبر الدين بأخبار أخرى شرعية أو عقلية، أو أن يتم ترجيح حكم العقل بأخبار أخرى شرعية أو عقلية.

الحالة الثالثة: أن يكون التعارض بين خبر قطعي من العقل وخبر ظني من الدين. وفي هذه الحالة فإنه يؤخذ الخبر القطعي ويرد الخبر الظني. ولا يصح العكس أبدا لأنه لا يمكن أن يتطرق الخطأ إلى الخبر القطعي ويرد الخبر الظني. ولا يصح العكس أبداً. لأنه لا يمكن أن يتطرق الخطأ إلى الخبر القطعي سواء أكان من الدين أم من العقل. وإذا أمكن أن يتطرق الخطأ إلى الخبر القطعي من العقل فمعناه أنه من الممكن أن يتطرق الخطأ إلى حكم العقل القطعي الذي هو أساس الدين وهذا مستحيل. أما الخبر الظني من الدين - أو من العقل - فمن الممكن أن يتطرق الخطأ إليه، ولولا ذلك لما كان ظنيا. بل لكان قطعياً. والخبر الظني من الدين لا يكون إلا في ثلاث حالات:

١ - أن يكون الخبر نصا قطعي الثبوت ظني الدلالة.

٢ - أن يكون الخبر نصا ظني الثبوت قطعي الدلالة.

٣ - أن يكون الخبر نصاً ظني الثبوت ظني الدلالة.

ومثال هذا التعارض تفسير قوله تعالى في سورة النازعات ﴿والأرضَ بعد ذلك دحاها﴾ وقوله تعالى في سورة الشمس ﴿والأرضِ وما طحاها﴾ فمن يفسر هاتين الآيتين اعتبر جِرْمَ الأرض مبسوطاً وليس كروي الشكل. وهذا يعارض حكم العقل بكروية الأرض وهو حكم قطعي لا شك فيه. فوجب هنا أن يُرد تفسير من قال: إن الأرض ليست كروية. والذي يُردُّ هنا هو قول المفسرين وليس الاية. لأن الاية قطعية في ثبوتها. ولكنها ظنية في دلالتها، فَيُرَدُّ المعنى الظني الذي يتناقض مع الواقع القطعي.

وكذلك قوله ﷺ: «لا عدوى ولا طِيَرَة في الإسلام» فقد فهم البعض من هذا النص أن العدوى غير موجودة وأن الأمراض لا تنتقل من شخص إلى آخر. ونعتبر كلمة (لا) في قوله «لا عدوى» لا النافية للجنس عند من أنكر وجود العدوى بناء على الحديث. ولكنه قد ثبت بالعقل ثبوتا قطعيا وجود العدوى، وأن هناك أمراضا تنتقل من شخص إلى آخر بالعدوى بدون شك. فلزم من هذا التعارض بين حكم العقل القطعي وحكم الدين الظني، أن يؤخذ حكم العقل بوجود العدوى وأن يُرَدُّ الحكم الظني المأخوذ من الحديث. أي يُرَدُّ قول الذين فهموا بأن الحديث نفي لوجود العدوى. ويُلجأ إلى معنىً آخر يمكن فهمه من النص ولو باحتمال بعيد - أي يؤوّل النص - ولا يتعارض مع حكم قطعي سواء كان للعقل أو للدين. فيُفهم النص بأنه نهي عن العدوى، أي نهي لمن يحمل مرضا معديا عن الاختلاط بغيره ممن لا يحمل نفس المرض، ونهي لمن لا يحمل المرض المعدي عن الاختلاط بغيره ممن يحمله.

وتكون (لا) في قوله «لا عدوى» لا الناهية وليست لا النافية. ويؤيد هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام: «ولا طيرة» فإنها نهي عن التطير وليس نفيا لوجوده لأن التطير فعل من أفعال الإنسان.

هذه الحالات الثلاث لا رابع لها. إلا أنه من الممكن القول بوجود حالة رابعة حسب منطق الاحتمالات وهي التعارض بين خبر قطعي من الدين وخبر قطعي من العقل. وهذه الحالة لا يمكن وجودها في الواقع، والعقل نفسه يقطع باستحالة وجودها. لأن الخبر القطعي من الدين أساسه العقل والعقل هو الذي يحكم بمطابقته للواقع. فكأن تصور هذه الحالة مثل تصور تصادم خبر قطعي من العقل مع خبر قطعي اخر من العقل أيضا. أو مثل تصور تصادم خبر قطعي من الدين مع خبر قطعي اخر من الدين. وهذا غير ممكن.

وعليه فإن الأخبار الواردة في نصوص شرعية قطعية الثبوت قطعية الدلالة، يلزم الإيمان بها، أي تصديقها تصديقا جازما سواء أكانت تخبر عن الماضي أم عن المستقبل ولذلك فإن الرسول ﷺ عندما نزلت الآيات من سورة الروم: ﴿الم غلبت الروم، في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين﴾ وقراها على الصحابة، وجب على كل واحد منهم أن يعتقدها وهي خبر عن المستقبل. لأن هذه الآيات قطعية في ثبوتها وقطعية في دلالتها، والشك في مطابقتها للواقع هو شك في الرسالة وهو غير ممكن لأن الرسالة تثبت ثبوتا قطعيا بالعقل.

أما مسألة التعارض بين العلم والدين، فإنه ينطبق عليها ما قيل في مسألة التعارض بين العقل والدين. لأن العقل هو أساس العلم. □

وهذا نداء حار إلى المسلمين ورد إلى مجلة «الوعي» من احد قرائها في اوروبا. وقد رأت المجلة نشره، مساهمة في نشر رسالة الإسلام وإيجاد الوعي عند المسلمين طمعاً في ثواب الله تعالى

«من أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم»

ايتها الأمة الإسلامية الكريمة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
اخي المسلم في كل مكان.

● عُبّاد البقر يقتلون إخوانكم المسلمين في الهند ● المحاولات العديدة كثرت لانتهاك الحرم القدسي الشريف ● إذاعات وتلفزيونات وكتّاب العالم الكافر اصبحوا يهزأون بالمسلمين في أفلامهم ومسرحياتهم وكتبهم ● قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا اهله ● الاستعمار غير المباشر يحاول أن يضيّع على المسلمين اللغة العربية ● لقد نجح الكافر في إشعال الحرب بين المسلمين ليبيدوا انفسهم بانفسهم ● هيئات الامم المتحدة الكافرة تعلن عن المزيد من قوات الكفر إلى بلاد المسلمين ● الشرق الشيوعي الكافر يريد الحد من كثرة المسلمين ● وحكام المسلمين استذلونا في كل مكان من أراضينا وتسلطوا علينا بالحديد والنار ● قام حكام فرعون بحبس كل من قال «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله» ورموه في سجونهم الطاغية ● تخبط حكام المسلمين في سَنّ القوانين واخذوا يبدلون احكام الكفر بأحكام الإسلام، واخذوا يتمسكون بالديمقراطية الراسمالية العفنة، والاشتراكية الشيوعية الخرقة ● الغى بعض حكام المسلمين السنة الشريفة التي لا تنطق عن الهوى ● والغى بعضهم اللباس الشرعي للمرأة المسلمة الطاهرة ● والغى بعضهم الآخر صيام رمضان ● وحوّل آخرون بيوت الله إلى فنادق واستراحات ● وألقى بعضهم القبض على من يذهب إلى المساجد ● وعاقب بعضهم كل من حمل المصحف الشريف ● واصطدع بعضهم الطوابير على المواد الغذائية الرئيسية وقلّد فيها النظام الشيوعي، الذي يقول: «وقوف الطوابير يمنع الشعب من التفكير والوقت لمحاولة المناقشات» ● حكام المسلمين حللوا الحرام وحرموا الحلال، وافشوا الربا في البنوك، واصطنعوا الرشوة، وفرض الجمارك والمكوس ● واخيرا من المضحكات المبكيات: العلماء في الأزهر وغيره يشجعونهم ويرضونهم ويمكنونهم من الأذى بالمسلمين، وذلك بالسكوت على الكفر والظلم والفسوق والعصيان، أو بالقول الذي لا يوافق كلام الله وسنة رسوله الكريم ﷺ.

وامصيبتاه يا اخوة الإسلام!

يقول الله تعالى

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾.
﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾.
﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾.

إعلموا أن هؤلاء الحكام لن يخرجوا عن نطاق تلك الآيات الثلاثة: كفرة أو ظلمة او فسقة، وإن لم يحكم بالإسلام وحكم بغير ما انزل الله، كان فرضاً على المسلمين ان يحاربوا الحاكم حتى يحكم بالإسلام، وإن لم يفعلوا ذلك اصبحوا آثمين (إرجعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله) والرسول الكريم يقول: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله عاملاً بعباد الله بالإثم والعدوان، ولم يغير عليه بقول أو فعل كان على الله أن يدخله مُدْخله». وقال: «ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس بمسلم». فحاذروا من عذاب جهنم، وسارعوا إلى جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين، وانقذوا المسلمين من العذاب الذي هم فيه. لقد قتلنا وسُرقنا وعذبنا واستبيحت اعراضنا واموالنا.

فأين نحن من الله وهو يقول تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ يرضى الله سبحانه لنا بالخير ونحن نعرض؟ يرضى الله سبحانه وتعالى لنا بالجنة. ونحن نرفض؟ يختارنا من دون الناس جميعاً لحمل رسالته ونحن نأبى؟ يريد أن يطهرنا من الخبث ونحن نصرّ عليه؟ فأين نحن إذاً من الله؟!

إن هناك من يسأل: كيف نعمل لتغيير هذا الوضع السيء الذي نحن فيه؟ فالجواب واضح في الكتاب والسنة وهو: منذ فجر الإسلام والصراع قائم بين المسلمين والكفار، وأفكار الإسلام وأفكار الكفر. فليعلم كل مسلم أن دين الإسلام هو دين وسياسة في آن واحد، وليعلم أيضاً أن الشرق والغرب استطاعوا أن ينتصروا على المسلمين الذين أضاعوا شوكتهم عندما أصيبوا بالجهل بأحكام الإسلام، واستطاع الغرب أن يهدم دولة الإسلام على يد المسلمين أنفسهم، وعلى يد أتاتورك لعنه الله في الدنيا والآخرة، فأضاعوا (الخلافة) سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م) بهذا الخنجر العريض الا هو (فصل الدين عن الدولة). **الإسلام دين عنه الدولة**: والدليل على ذلك هجرة الرسول الحبيب ﷺ من مكة إلى المدينة، لأنه رأى أن مكة أضعف إيماناً وستحاربه، ولأنه يريد أن يقيم الدولة، ولأنه رأى أن المدينة وأهلها سينصرونه، وهذا سياسة. ولنعلم أن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أمر برئاسة واحدة للمسلمين فقال: «من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر». أي اقتلوه، ولنعلم أن ما نحن عليه الآن ما هو إلا غضب من عند الله لأننا تركنا الكتاب وأقوال الرسول الكريم النبي لا ينطق عن الهوى.

إخوة الإسلام: إن الخليفة أو إمام المسلمين لا يأتي إلا بوجود جماعة أو حزب لأن الله يقول: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ فعلينا الآن أن نعمل في جماعة أو أمة أو حزب كما أمرنا الله سبحانه وتعالى، ونكيد لحكام المسلمين الكفرة، الظلمة، الفسقة، ولنطيح برؤوسهم إن لم يقم واحد منهم بالحكم الصالح على منهج النبي الكريم والصحابة رضي الله عنهم جميعاً، لكي نصبح كما قال تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾. وافتحوا القواميس العربية لكي تعرفوا كلمة أمة أي جماعة، كلمة أمة كما جاءت في الآية الشريفة، هذه الآية الكريمة التي حاربها حكام المسلمين، لأنهم حاربوا وقتلوا وسجنوا كل من يحملها، كلمة أمة أي جماعة، قرأها المسلم الذي غار على الإسلام وحملها وعمل بها فسجن، ودخلت الكلاب في سجون الفراعنة لتأكل لحمه وترمي عظمه، كلمة أمة حملتها جماعات وجماعات من كل بقعة من هذه الأرض الطيبة، فاتهموا الاتهام الباطل الزائف وعُذّبوا أو عُلّقوا على المشانق. قال تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾ فهنيئاً لكل من عمل في جماعة وقُتِل، ولندعُ الله أن نكون نحن أيضاً من هؤلاء الأبرار

إخوة الإسلام: فلنستجب لله وللرسول ولنعمل على إقامة جماعة أو أكثر لتأتي بالخليفة، والخليفة يأتي بالدولة، والدولة تأتي لنا بالنصر من الله ولنفتح العالم ولندعُ للإسلام، فتفتح الدولة البلاد حتى يقول الناس: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فإن قالوها سلموا وإن لم يقولوها فليدفعوا الجزية، وإن لم يدفعوها فيقتلوا كما فعل الرسول الكريم ومن بعده الصحابة رضوان الله عليهم، ولنكون نحن من الذين رضي الله عنهم وجعلهم خير أمة أُخرجت للناس وننتصر على الكفار عامة واليهود خاصة، لأن الرسول ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله».

إخوة الإسلام: تعالوا لنعمل جميعاً على إقامة الخليفة، الذي يقوم ببناء الدولة الإسلامية التي تحكم بكتاب الله وسنة رسوله. وإلاّ سيعذبنا الله وينتقم منا في الدنيا على يد حكام ظلمة فسقة كفرة، وفي الآخرة بالنار ولنعوذ بالله الذي يقول: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ والرسول الكريم ﷺ يقول:

١ ـ «تكون نبوة ما شاء الله لها أن تكون ثم تنقضي.
٢ ـ ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة ما شاء الله لها أن تكون ثم تنقضي.
٣ ـ ثم يكون ملكاً عضوضاً ما شاء الله أن يكون ثم ينقضي.
٤ ـ ثم تكون جبرية ما شاء الله لها أن تكون ثم تنقضي.
٥ ـ ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة ثم الأرض».

فنلاحظ هنا من الحديث الشريف أن ما نحن عليه الآن هو في الزمن الرابع من الإسلام، فعلينا جميعاً أن نعمل على قيام الزمن الخامس للإسلام، لأن هذا فرض على المسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال ﷺ: «من أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم».

المجلس الشرعي

الخميس في ٨٩/١١/٣٠ رأس القائم مقام المفتي الشيخ قباني اجتماع المجلس الاسلامي الشرعي الأعلى في دار الفتوى، وأصدر بياناً جاء فيه: «أولاً ـ تهنئة فخامة الرئيس الياس الهراوي بانتخابه رئيساً للجمهورية».

يا صاحب السماحة، ان هذه التهنئة تتضمن رضاكم عن الجمهورية ونظام الجمهورية ورئاسة هذا الرئيس، وكل واحدة منها معصية لله، وما هو أقطع انها تتضمن اصدار فتوى للناس بمشروعية هذه المعاصي.

لا توجد لكم رخصة في ارتكاب هذه المعاصي، فأنتم تبادرون اليها دون أن يجبركم أحد. واذا كان البروتوكول يتطلب ممن يشغل هذا المركز أن يبادر الى ارتكاب المعاصي فليس المركز

يا صاحب السماحة، عهدنا بكم أنكم من انصار الله ومن أهل التقوى، فعودوا الى الله كما كنتم.

زين العابدين يمنع الأحزاب الدينية من العمل

قال رئيس تونس ما يلي: «إنه ليس هناك مكان في تونس لحزب ديني... الدولة هي المدافع الوحيد عن الإسلام وحامية الإيمان، لهذا نؤكد لأولئك الذين يخلطون بين الدين و السياسة انه ليس هناك مكان لحزب ديني... إن الإسلام هو دين الجميع ولا يمكن أن يصبح موضع منافسة أو مزايدة ولا أن يكون واسطة للوصول إلى السلطة». كلام زين العابدين لن يصدقه الرأي العام في تونس لأنهم يفهمون أن عكسه هو الصحيح، ويدركون ذلك حق الإدراك

تراجع فرنسي بخصوص الحجاب

أصدر «مجلس الدولة» الفرنسي وهو اعلى هيئة قضائية ادارية فرنسية قراراً قال فيه ان ارتداء (الحجاب الاسلامي) في الصفوف المدرسية «لا يتنافى مع مبدأ العلمانية طالما انه يمثل ممارسة لحرية التعبير ويعدُّ مظهراً من مظاهر التعبير عن العقيدة الدينية.. ان هذه الحرية لا تسمح للطلاب بوسائل تعبير عن الانتماء الديني يمكن أن تشكل (بحكم طبيعتها وملابساتها او بانسامها بطابع التفاخر أو اعلان مطالب) عملاً استفزازياً او تبشيراً او دعاية، او يمكن ان تمس بكرامة الطالب او حريته.. في حالة الضرورة ان وسائل التعبير هذه يمكن أن تحكمها قواعد معينة في المدارس».

عدوى الانتخابات!

الدويلات القائمة في العالم الإسلامي تمارس هجمة قوية تجاه الانتخابات وذلك بهدف تنفيس الاحتقان الذي نشأ عن فشلها المتواصل في رعاية شؤون الناس وكذلك بهدف تطويع الموجة الاسلامية وصرفها عن المسار الصحيح الذي يجب أن تسلكه. فبعد الانتخابات التي حصلت في كل من تونس والجزائر والكويت وتركيا والأردن هناك نية لدى كل من اليمن الجنوبي والصومال وتشاد لإجراء انتخابات حيث أعلن سياد بري عن نيته لإجراء انتخابات قريباً وقال: «إن جميع التيارات السياسية ستتمكن من التعبير عن نفسها والمشاركة في الحكم» اما تشاد فقد اعدت مشروعاً للدستور سوف تطرحه للاستفتاء قبل نهاية هذا العام، وفي نيتهم كذلك ترتيب مسرحية لانتخاب حسين حبري عن طريق الاستفتاء ثم إلحاق ذلك بانتخابات «تشريعية» كما يسمونها. اما اليمن الجنوبي فقد أعلن حكامه عن نيتهم لإجراء انتخابات برلمانية لأول مرة منذ انسحاب الجيش الانجليزي منها عام ١٩٦٧. ماذا بعد؟!

إسناد الأمر لغير أهله

قال وزير التربية عمر كرامي في ٨٩/١٢/١ إن وزارة «اسندت إلينا من دون استشارتنا، ولقد اكون آخر واحد يسعلم بوزارة التربية وشؤونها».

قال ﷺ: «من أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم».

لماذا النجم الساطع؟ تدنيس أرض المسلمين بأقدام الأمريكان

بدأت في ٨٩/١١/١١ مناورات عسكرية مصرية ـ أمريكية أطلقوا عليهم اسم «النجم الساطع». وهذه المناورات تجري كل عامين على الأراضي الإسلامية في مصر لكنها في المرتين الأخيرتين اختلفت عن سابقاتها حيث تضمنت للمرة الأولى التدرب على أنواع متقدمة من الخطط السرية العسكرية الاستراتيجية القصيرة المدى والطويلة المدى المتعلقة بمنطقة الشرق الأوسط كلها. وهذا يعني أن الجيش الأمريكي يحضر نفسه دائما للقيام بغزو أية بقعة في العالم الإسلامي حين تصدر له الأوامر من قبل الإدارة الأمريكية. ويعني أيضا أنه سوف يقوم بمساعدته أو نيابة عنه الجيش المصري، فتكون أمريكا قد حاربت المسلمين بواسطة جيوشهم، لكنه سيأتي يوم يقوم فيه أهل مصر بمنع تدنيس أرضهم من قبل جنود أمريكا

عمال مصر ضحايا أمزجة الحكام

تناقلت وسائل الإعلام خبر قتل العشرات من العمال المصريين في العراق، وذلك يوضح مدى هشاشة العلاقات العربية والشعارات التي يرددونها خصوصا داخل ما يسمى «مجلس التعاون العربي» الذي صدر عنه العديد من القرارات خصوصا في مجال تسهيل انتقال الأفراد وضمان حقوقهم المالية، ولكن الذي حصل هو العكس، فالعمال المصريون عادوا إلى القاهرة بالآلاف دون حقوقهم وأموالهم، وادعت العراق بأنها لا تملك الأموال الكافية لذلك سوف تقسط لهم أموالهم. ولكن النظام العراقي لديه الأموال الكافية لدعم ميشال عون في حربه ضد أهل لبنان.

وفد الجبهة (الإسلامية!) يطالب بالاشتراك بالوزارة

وفد من ما يسمى بالجبهة الإسلامية مؤلف من صافر حمود وزهير كتخ عن تجمع العلماء وعبلي عمار وزهير عبيدي عن الجماعة الإسلامية والقاضي أحمد الزين قابل سليم الحص يوم ٨٩/١١/١٦ وطالب أن تشارك جميع القوى في الحكومة. وطالبوا بتحقيق التوازن بين جميع الطوائف. واعتبروا أن طرحهم هذا هو طرح إسلامي. [مجلة الوعي تأسف أن تصدر من وفد إسلامي المطالبة في الاشتراك في حكم الكفر].

﴿وزينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾

علماء فلك أعلنوا أنهم رصدوا أبعد جرم سماوي يكتشف حتى الآن، وقد أطلقوا عليه اسم «النجم الزائف» ويقول الفلكيون أن هذا الكوكب يبعد عن الأرض ١٤ مليار سنة ضوئية. وأنهم استخدموا لرصده أضخم منظار فلكي، وهو يكبر ٤٠٠ ألف مرة. سبحان خالق هذا الكون ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾.

نموذج من المسؤولين في بلاد المسلمين

نقلت صحيفة الجمهورية المصرية في ٨٩/١١/٨ أن الأمير (تركي بن عبد العزيز)، أقام حفلاً في الاسكندرية رقصت فيه الممثلة المصرية (شريهان). وقد دفع الأمير ثلاثة آلاف دولار مقابل كل دقيقة رقص أي دفع مبلغ (١٥٠٠٠٠) دولار مقابل نصف ساعة من الرقص.

محاكمة عرفات

المؤتمر الخامس لحركة (فتح ـ القيادة الموقتة) الذي انعقد في مخيم للتدريب في سوريا وأنهى أعماله في ٨٩/١١/٨ اتخذ قراراً بمحاكمة ياسر عرفات بتهمة الخيانة العظمى وقد أعلن القرار العقيد أبو موسى أمين سر اللجنة المركزية للحركة. السبت ٨٩/١١/١١ وجاء في الاتهام بأن عرفات «انحرف عن مبادىء حركة (فتح) عندما اعترف بالعدو الاسرائيلي وقبل قرار مجلس الأمن الرقم (١٨١) الذي ينص على إقامة دولة يهودية في فلسطين، وتخلى عن الكفاح المسلح».

فرنسا تلعب بنار القوميات

بعد الزيارة التي قامت بها عقيلة ميتران للقبائل المسلمة من أصل كردي جنوب تركيا واستدعائها لبعضهم لزيارة فرنسا، أقدمت فرنسا أيضا على تنظيم مؤتمر في باريس أطلقت عليه اسم «مؤتمر الهوية الكردية»، وليس بخاف على أحد مدى خطر التمزيق العرقي الذي مارسه الاستعمار القديم ولا زالت تمارسه الدول المستعمرة ذاتها.

مع القرآن الكريم

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قال تعالى:

﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزّة فانّ العزّة لله جميعاً ● وقد نزّل عليكم في الكتاب أنْ اذا سمعتم آيات الله يُكْفرُ بها ويُستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتّى يخوضوا في حديثٍ غيره انكم اذاً مثلهم إنّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنّم جميعاً﴾.

يحذّر الله في هذه الآيات الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، متحجّجين بالحجج الواهية لتبرير ودّهم وموالاتهم للكافرين وابتغائهم العزّة عندهم ويردّ عليهم بقوله ﴿أيبتغون عندهم العزة فانّ العزّة لله جميعاً﴾، أي أن من يفعل ذلك يبتغي العزّة من غير موضعها، فالعزّة لا تبتغى ولا تنال من الكافرين، بل من الواحد الأحد الذي لا شريك له فاطر السماوات والأرض، ﴿من كان يريد العزّة فلله العزّة جميعاً﴾، ﴿ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ وفي هذه الآية وصف الله من يبتغي العزّة من غير الله ورسوله والمؤمنين بالمنافق. «والمقصود من هذا التهييج على طلب العزّة من جانب الله والاقبال على عبوديته والانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين لهم النصرة في هذه الحياة ويوم يقوم الأشهاد. ويناسب هنا أن نذكر الحديث الذي رواه الامام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال: «من انتسب الى تسعة آباء كفار يريد بهم عزاً وفخراً فهو عاشرهم في النار» (تفسير ابن كثير ج ١/٥٨٠).

﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذاً مثلهم﴾، «أي أنكم اذا ارتكبتم النهي بعد وصوله اليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها وأقرر تموهم على ذلك فقد شاركتموهم في الذي هم فيه فلهذا قال تعالى ﴿انكم اذاً مثلهم﴾ في المأثم.. وقوله ﴿ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾ أي كما أشركوهم في الكفر كذلك يشارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبداً ويجمع بينهم في دار العقوبة والنكال والقيود والأغلال وشراب الحميم والغسلين لا الزلال» (تفسير ابن كثير ج ١).

فكيف بأولئك الذين يشاركون الحكام الذين يحكمون بالكفر، من خلال مشاركتهم في المناصب الحكوميّة. وكيف بأولئك الذين يوادّون حكّام الكفر ويوالونهم لقاء حفنة من المنافع. متحججين بقاعدة غربيّة أنّ «الغاية تبرّر الوسيلة». من دون أن يدركوا أن الاسلام فكرة وطريقة فكما أن الاسلام قد حدّد لنا العقيدة الاسلامية ومعالجاتها وحملها للآخرين، حدّد لنا كيفية المحافظة عليها بأحكام شرعيّة واضحة ومستقيمة. فلسنا بحاجة، بل ويحرم علينا، أن ننفذ أفكارنا الاسلاميّة بغير الطرق الشرعيّة التي حدّدها لنا الشارع. فكما أنّ أفكارنا الاسلامية هي وحيٌ من عند الله فكذلك طريقة تنفيذ هذه الأفكار هي وحيٌ من عند الله وهي اسلامية من جنس الفكرة وليس كما قال ميكيافيلي «الغاية تبرّر الوسيلة» □

قال الامام علي عليه السلام: «وما أعمال البرّ كلُّها والجهادُ في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنَفْثَةٍ في بحرٍ لُجِّيٍ، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يُقرّبان مِنْ أجَلٍ، ولا يَنْقُصان من رزق. وأفضلُ من ذلك كُلِّه كلمةُ عدْلٍ عند إمامٍ جائرٍ».

[نهج البلاغة ج ٤/ ص ٨٩]

أوزال والصلاة في مواجهة العلمانيين

للمرة الأولى في تاريخ تركيا ما بعد هدم الخلافة يقوم رئيس الدولة بأداء صلاة الجمعة. فبعد نجاح أوزال في الانتخابات الرئاسية لمنصب رئاسة الجمهورية تساءل العلمانيون عن نية أوزال في الاستمرار في أداء صلاة الجمعة رغم وصوله للمنصب الأول في الدولة العلمانية والذي يفترض في شاغله (حسب الدستور العلماني) أن يكون علمانياً.

ففي الثالث من شهر تشرين الثاني ١٩٨٩ قام أوزال بعملية تضليل للصحافيين حين أوقف ثلاثة سيارات أمام المداخل الثلاثة لقصره، وحرك احداها وتبعها الصحافيون لكنه كان في الأخرى وتسلل من باب آخر للقصر وذهب للصلاة في جامع «كوجه تبه» بانقرة ودخل من بابه الخلفي وجلس في المقدمة، وكان برفقته رئيس بلدية انقرة السابق، ووزير الداخلية، ووزير دولة سابق، وعضو مجلس الشعب عن مدينة قونية، واحد أبرز المرشحين لرئاسة الحزب الحاكم وهو وزير المالية. وعقب الصلاة خرج أوزال من الباب الأمامي للجامع وشق طريقه بصعوبة وسط المصلين الذين هتفوا: الله اكبر، الله اكبر، واستعان الامام (بميكروفون) المسجد لمخاطبة المصلين الذين تزاحموا لمصافحة أوزال لكي يفسحوا له الطريق للخروج ولوحظ ان فرحاً ودموعاً تغمر وجوه المصلين الذين شاهدوا لاول مرة رئيس الاتراك يؤدي صلاة الجمعة منذ سقوط الخلافة عام ١٩٢٤ م.

وكان الصحافيون قد سألوا أوزال قبل صلاة الجمعة بعدة أيام: **هل ستصلي الجمعة بعد ان اصبحت رئيساً للجمهورية ورمزاً للدولة العلمانية؟** أجاب أوزال أنه يصلي طوال حياته وان وصوله لمنصب رئيس الجمهورية لن يمنعه من أداء الصلاة، وتابع قائلاً: اعرف انكم ستتبعوني يوم الجمعة حين خروجي للصلاة الا انني سأفكر في حل للافلات منكم.

أما العلمانيون واليساريون فلم يروقهم ذلك وقامت صحفهم بحملة عنيفة وساخرة ضد الاسلام من خلال الاستهزاء بالمسلمين وبتصرفات أوزال التي تذكر بعصر الخلافة. وكنموذج على ذلك نقتطع بعض ما نشرته صحيفة «الجمهورية» اليسارية حيث قال المعلق اليومي في مقال له: «في أيام الدولة العثمانية (يعني دولة الخلافة) كانت هناك مراسم تحية صلاة الجمعة وذلك بوقوف جماهير الشعب على الطريق الموصل للمسجد حيث يمر الخليفة بين الناس راكباً الخيل ثم تغير ذلك أيام السلطان عبد الحميد الذي كان يركب سيارة.. ان هذه المراسم كانت تدل على تربع النظام الديني في الدولة. وقد الغي ذلك مع قيام الجمهورية التركية الحديثة. ويلاحظ ان الخليفة تورغوت خليل أوزال ينوي اعادة هذه المراسم. ولكن كيف ستكون هذه المر وذهابه الى الجامع كل جمعة سيتحول بالضرورة الى نظام المراسم العثمانية في صلاة الجمعة، سواء وضع ارقاماً خاصة على سيارته او وضع ارقام رئاسة الجمهورية.. ان الناس سيصطفون (بالقبافيب) وهم يصفقون لرئيس الجمهورية قائلين حظك كبير وطريقك مفتوح ولا تتكبر يا سلطاني هناك رب أكبر منك.. ان محاولة تخريب اسس الجمهورية التركية مرادفة تماماً مع تحويل عبادة الله الى مظاهرة سياسية واستخدام المشاعر الدينية كوسيلة سياسية فهل سيستخدم قصر شنقايا ايضاً في سبيل هذا الغرض. واذا كانت مراسم الجمعة أيام العثمانيين خاصة بالخليفة الذي كان يأخذ سلطته من الدولة. فمن أين سيأخذ أوزال سلطته؟ فهي ليست من الله، وليست مطعماً من الشعب اذن تورغوت اوزال في طريق خاطئ، والجمهورية التركية في اضطراب».

والوعي لم تورد هذه الأمور من باب الفرحة الشديدة بموقف أوزال، ولكن لتسليط الضوء على مخاض يعيشه مسلمو تركيا تماماً كباقي أجزاء العالم الاسلامي، وفي ظل وضع كهذا وجد المسؤولون الاتراك أنفسهم مضطرين لمسايرة الناس، فاذا صلى أوزال وحج فذلك فرض يؤديه تجاه خالقه. ولا ننكر ان موقفه هذا خطوة جريئة ومسمار دق في جسم الدولة العلمانية التي بناها اتاتورك. لكنه ليس لبنة اولى في بناء دولة الخلافة، لأن سلوكه هذا لا يختلف عن سلوك الملك الحسن الثاني او فهد بن عبد العزيز او حسني مبارك او زين العابدين بن علي. فهل سلوك هؤلاء الملوك والرؤساء يبشر باقتراب اعلانهم اقامة دولة الخلافة؟ خصوصاً واننا نقرأ تصريحاً لأوزال نشرته مجلة تركية تدعى ملي جازيتا يقول فيه «إن الإسلام هو عنصر تهديد للغرب ولتركيا بشكل خاص وإن على الحكومة محاربة التيارات الإسلامية». □

النباهة والاستعمار

اعداد: محمد أبو وائل

(الاستعمار) بالمفهوم الشائع اليوم هو فرض هيمنة الاقوياء على الضعفاء بهدف الاستغلال. وهذه الهيمنة تكون عسكرية او سياسية او اقتصادية او فكرية. واسوأ أنواع الاستعمار هو الاستعمار الفكري.

وقد نجح الغرب الكافر في بسط نفوذه الفكري على بلاد المسلمين وابناء المسلمين. وقد رأينا ان الغرب يهاجم الفكر الإسلامي مباشرة في بعض الأحيان، ومداورة احيانا اخرى. وحين يهاجم الفكر الإسلامي مداورة وتضليلاً يستعمل اسلوب (الاستحمار) مع المغفلين من المسلمين.

والمقال التالي مستوحى من محاضرة للدكتور علي شريعتي، رحمه الله، كان القاها في عام ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م). ونحن نلخص ما جاء فيها مع بعض التعديلات البسيطة، والتدخلات القليلة.

إن الحالة الخاصة التي نعيشها تفرض علينا أن نقول كلمتنا الأخيرة اولاً، وان نقرأ الكتاب من اخره، ومن هنا فإن الموضوع قد يبدو مملاً للذين لم يتعرفوا بعد على الظروف الفكرية للقضايا التي سأعرضها، وقد يحتاجون لمزيد من التأمل والدقة خصوصا أن الكلام يدور حول مسائل فكرية وليس علمية.

وقبل البدء بالشرح والتفصيل اريد ان اقول: يجب أن نكون نبهين، ولا نتوهم انفسنا مفتنين فكريا بالكفاءة العلمية، لأنها كفاءة كاذبة، ومدعي الاكتفاء كاذب، وهذا نوع من الغش الذي يختص به المتعلمون وحملة الشهادات في زماننا! لأن المتعلم بعد أن ينال دراسات عالية ويكتسب معلومات واسعة، ويتعرف إلى اساتذة كبار وإلى كتب مهمة، يشعر أنه اصبح مشبعا بالعلم، يحسُّ في نفسه رضىً وغروراً، ويظن انه بلغ من الناحية الفكرية اقصى ما يمكن أن يبلغه الإنسان الواعي، ولا شك انَّ هذا انخداع يبتلى به المتعلم اكثر من غيره!.. قد لا يفكر الاستاذ او الفيزيائي او الأديب او المؤرخ او الفيلسوف انه يمكن أن يكون لا شيء من الناحية الفكرية وانه في مستوى اقل العوام شعوراً، وحتى الامي الذي لا يحسن الخط مثلاً قد يكون أرقى منزلة في الدراية الإنسانية وفي معرفة الواقع والمجتمع. إن بقاء المتعلم سطحيّ التفكير فاقد الشعور، وإعطاءه القابا بارزة كالدكتور والمهندس والبروفسور لحالة مؤلمة جدا فيما لو استمر هذا المتعلم عديم الفهم والنباهة والشعور بالمسؤولية تجاه امته، إن خطر بقاء المتعلم سطحيا وأخرس واعمى ولا شيء لخطر كبير جداً، لان الإنسان إذا أُشبع بالعلم لم يعد يشعر بالجوع الفكري وبأهمية الفكر في حياة الأمة.

إن مجتمعات العالم الثالث في اسيا وأفريقيا واميركا اللاتينية المتأخرة صناعياً والتي لم تصل بعد إلى مستوى الاوروبيين والأمريكيين في شتى المناحي الفنية، إن هذه المجتمعات الفقيرة المتخلفة تملك قدرات هائلة تستطيع ان تقف ضد الغرب وتجبره على الخضوع والاستسلام في وقت بلغ فيه الغرب الذروة من حيث التقدم العلمي والتقني، ورغم إقدامه على شراء النابغين والمتفوقين من العالم الثالث، حيث انه مركز المال. وهذه الكفاءات صارت كالسلع المعدة للبيع والشراء تتبع المال اينما كان. إن امتلاك الغرب للميراث العلمي واحتفاظه بجميع الذخائر في الفروع العلمية كافة، سواء منها تلك التي ابتدعها هو او تلك التي اخذها عن غيره، لا يعصمه من الخضوع أمام مجتمعات لا تملك اي نوع من أنواع الأسلحة، وقد يكون أفرادها حفاة ولا يمتلكون حتى آلة للدفاع عن حياتهم وحياة اسرهم! فمن عما طرفا الجدال والقتال في هذا العصر إذا؟!

إنه «العلم» في معركة مع «الفكر»، هذا الحافي الجائع الذي قضي عليه أن يبقى فقيراً مريضاً. ولكنه - اي الفكر - إذا تسلح بالإيمان والعقيدة، فإنه سيستطيع بنباهته التغلب على ذاك الذي جمع المقدرات العلمية والصناعية وادخر ثروة العالم، وحتى لو كان

هذا الفكر أمّيا.

إذا هنـاك شيء آخـر غـير الثـروة والقـدرة والعلم والتكنولوجيا، شيء لو صرفنـا النظر عن وجـوده لهزمنـا أمام حفاة الدهر. إنه الفكر والعقيدة. فإذا مـا فقدنـاه فإننا سننهار من الداخل مهما بلغنا من التقدم العلمي والتكنولوجي (شرط ان نبلغ ولكنا لا نبلغ).

إن المجتمع الذي يرتبط بهدف عالٍ، بعقيدة وإيمان، يتفوق على كل قدرة؛ إنّ مجتمعاً كهذا سيتكون له بعد عشر سنين أو خمس عشرة سنة حضارة كما ستكون له صناعة وسينتج على مستوى عالمي ايضا، وهناك نماذج كثيرة في الزمن الماضي، وفي وقتنا الحاضر. أما إذا كـان المجتمـع فاقـداً لنموذج يهدف إليه، فـاقـداً لـلإيمـان وللـوعي الفكـري والسيـاسي، وليس همـه إلا التقـدم العلمي والصناعي، فإن وُفّق لنيل ما يروم ـ ولن يوفّق ـ فـإنه سيبقى مستهلكـا وإن ظن انه منتـج، وهـذه هي الخديعة الكبرى التي وقعت فيها جميع البلاد المتأخرة، فخسرت قـوة الفكـر، خسرت ذلـك الشيء الـذي يهب الـرفيق العجوز المحـروم قدرة تـزلزل الجبـال. وهكـذا فـإذا كنا أصحـاب عقيدة فـإنه متى وفّقنـا ان نجتـاز مرحلة الإيمـان بنجاح، فـإننا سنكـون صانعـين لأكبر مـدنية. أمـا إذا لم نشعـر بنقص فكـري ولم تتكشف لنا قضية الإيمان والعقيدة، ولم تتضّـح طريقنـا، فإننـا سنبقى محتاجين أرقاء للمنتجين، نعتمد على حضـارتهم ونستهلك إنتاجهم. ولقد كشفت التجارب طيلة الخمسين سنـة الماضيـة [أي السبعـين سنـة المـاضيـة] أن المجتمعات التي بدأت من نقطة عقائدية، وتحـركت بعد تحقق وعيهـا الفكري والسياسي، وقفت اليـوم في صف القدرات التي تصنع المـدنية العـالمية. لكن المجتمعـات التي افتتنت بالحضارة الغربيـة دون وعي سياسي ودون عقيـدة، بل بمجـرد نهضة كـاذبة، قـد ظلت مستثمرة للحضارة الغربية مستهلكة على الدوام، وخاضعة للـذل والعبودية تحت سيطـرة الاستعمار، والأمثلـة والنماذج على ذلك متوفرة وكثـيرة!!.. ماذا عمـل بنا الغـرب نحن المسلمين؟ لقد احتقر ديننا، شعـورنا، فكرنا، مـاضينا، لقـد استصغر كـل شيء لنا إلى حـدٍ أخذنـا معـه نهـزأ بأنفسنا ونسخر من أمتنا ونشمئز منها. أمـا الغربيـون فقد فضلوا انفسهم وأعـزوها، ورجعنـا نحن نقلدهم في الأزياء والأطوار والحـركات والكـلام والمناسبـات، وبلغ بنا الأمر أن المثقفين عندنا صاروا يفخرون بأنهم نسوا لغتهم الأصليـة، ويتباهـون بتطعيم كـلامهم بـالألفـاظ الإفرنجية!! ما هذه السفـاقة؟! وكيف يفقـر الإنسان بفقد شعوره ووعيه!؟ وما أشبهـه عندئـذ بالعبـد الذي يُهينه سيده ويضربـه فيلجأ إليـه لبأمن سخطـه. هكذا يلجأ العنصر الذي يعتبر نفسه راقياً ويعتز بتعـدنه إلى تحقير شعوب أخرى لأجل السيطرة عليها واستـ..ـارها حتى يضر المهـان من تلك الأمـور التي سببت إهـانتـه ويلجأ إلى المصدر الذي شنّع عليه وأعابه فيخرج نفسه على شاكلته لئلا يقع في إطار تهمة وتشنيعه [وممن وقع في هذا الفخ علماء المسلمين الـذين نادوا بـإلغاء تعـدد الزوجات والذين قالوا إن الجهاد حـربٌ دفاعيـة والذين حاولوا إلغاء أحكام الجزية والذين قالوا تتغير الاحكـام بتغير الزمان والمكان، والذين يتلمسون للاحكام الشرعية الأدلـة العلميـة ـ مـع ان الحكم الشرعي دليلـه النص وليس العلم ـ وغيرهم ممن حاولـوا الفرار من اتهـامات الغرب فوقعوا في مصيدته].

إن الثقة بالنفس توفر للإنسان الوعي الفكري، وهـو أن يعـرف اي فكر يختـار، وبأي أمـة يجب أن يرتبط، ولأي مبدأ أو أي حُضارة ينتمي، أين هو الوعي الـذي يجعلني أشعـر بنفسي كموجـود إنساني. كمـا توفـر له الوعي السياسي بـالمعنى الرفيـع للسياسـة لا بمعناهـا الحـضي اليومي بل بالمعنى الرفيـع، أي بشعور الفـرد بمرحلة المصير التاريخي للمجتمع وعلاقته به، وشعـوره بانضمامه وارتباطه بأمته، وشعوره بمسؤوليتـه كرائـد وقائد في الطليعة من أجل الهداية والقيادة والتحرير.

فالنباهة إذاً نباهتان: نباهة إنسانية (فكرية) ونباهة اجتمـاعية (سيـاسيـة). والشعب الـذي يفقـد هـاتين النباهتين يصبح مهندسه خير وسيلة لاستيراد البضائع الغـربية إلى بـلاده، وعالمـه موظف اجـير يستمد فكـره ونهجه في التحقيق من الأجنبي داخل البلاد وخارجها. وهكذا نرى أن أدمغة العالم الثـالث تنقسم إلى قسمين: قسمٌ منها يصدّر إلى الخـارج بأذلاً نبـوغه وقـابليته في خـدمة الأجنبي غـير عابىء بمـا قد يخسر مقـابـل ألفي تومان تزاد على الـراتب، وقسم يعود إلى البـلاد ليشكل الـدعامـة الخامسـة للبلاد لاستهـلاك واردات الأجنبي سواء منها البضائع التجارية أو الأفكار المنحرفة.

إن الشيء الـوحيد الـذي ينجي الإنسان والأمـة من شؤم الاستنـزاف الفكـري هـو النبـاهـة الإنسـانيـة والنبـاهة الإجتمـاعية اللتـان تتحدث عنهمـا الرسـالـة العقائدية الإسلامية، وينبغي أن تكون هاتان النبـاهتان مقياسا لكل مسلم، فالمزوّرون اليوم اصبحوا على درجـة من الخبث لا يستهـان بها، إنهم يصنعـون في الأساس عينـا ونظرة، ولـذا فـالإفـلات من مصـائـدهم وكشف مخططـاتهم يستلـزم لـلإنسـان أن يبصر ويعلم في أي مؤامرة معقدة يدور، وبعدها أي شيء يريدون فعله بهذا الجيـل، ومن يغفل عن هـذا سيكون ضحيـة لـدية في أيديهم، يُسَرُّ ويرقص لمذبحهم إياه في بـلاهة وحمـاقة مدهشتين.

لا بد من مقياس للتطبيق: لا بد من الدراية الفكرية الإنسانية ولا بد من الدراية السياسية الاجتماعية. وأي دعوة أو كلام أو ثقافة تكون خارجة عن إطار هاتين الدرايتين ليست إلا تغديراً للأفكار من أجل تسخير الإنسان كما يُسخَّر الحمار، ومن هنا أطلق على هذا العمل إسم «الاستحمار»!!

فمعنى الاستحمار إذاً في تزييف فكر الإنسان وشعوره وتغيير مسيره عن الوعي الإنساني والاجتماعي. إنه لمن سوء الحظ أن لا ندرك ما يراد بنا. فنُصرف عما ينبغي أن نفكر فيه كأفراد ومجتمعات فيصيب عدوُّنا الهدفَ ويسخر طاقاتنا وقدراتنا في سبيل خدمته كما يُسخَّر الحمار ونحن لا نشعر!!.. ومن أجل هذا قلتُ: «إنك إذا لم تكن حاضر الذهن في الموقف فكن أينما شئت، كن واقفاً للصلاة أو جالساً لمطالعة أحد الكتب العلمية أو راكضاً خلف الكرة في ملعب كرة القدم أو منكباً على تأليف رسالة في الفقه أو على حفظ أحد التفاسير... فالمهم أنك لم تكن حاضراً في الموقف. إن المستعمرين ـ من أجل صرفك عن الحقيقة التي يشعرون بخطرها ـ قد لا يدعونك دائماً إلى القبائح والانحراف حتى لا يثيروا انتباهك فتفر منهم إلى المكان الذي ينبغي أن تصير إليه، بل هم يختارون دعوتك بحسب حاجتهم، فيدعونك أحياناً إلى ما تعتقده أمراً مليئاً من أجل القضاء على حق كبير، حق إنسان أو مجتمع؛ فعندما يشبُّ حريق في بيت جارك ويدعوك أحد للصلاة والتضرع إلى الله في هذا الوقت ينبغي أن تعلم أنها دعوة خائن، لأن الاهتمام بغير إطفاء الحريق والانصراف عنه إلى عمل آخر هو «الاستحمار» وإن كان عملاً مقدساً، وإن أي جيل ينصرف عن التفكير في الدراية الإنسانية كعقيدة واتجاه فكري ومسير حياتي وتصرف مداوم إلى أي شيء حتى ولو كان مقدساً هو الاستحمار بعينه.

إن الإسلام حين يُفهم على حقيقته كعقيدة حية واضحة تتصل بكل لحظة من حياة الإنسان والمجتمع فتجعل التزامه بأوامر الله ونواهيه التزاماً صادقاً ثابتاً، يصبح تحركه تحركاً واعياً واثق الخطوات، يمر عن عمق في الدراية الإنسانية الفكرية، بحيث لا يسمح للأفكار الدخيلة أن تشوّش عليه فكره فتبقى عقيدته صافية نقية حية متفاعلة مع حياته وسلوكه. كما ينمّ عن عمق في الدراية الاجتماعية السياسية بحيث تحدد عقيدته قضاياه بدقة ووضوح، وتجعل وجوده من أجل نصرة مبدئه وتطبيقه في الواقع، وهذا ما يدفعه إلى إدراك الواقع إدراكاً عميقاً مستنيراً فيعرف ما يدور حوله محلياً ودولياً وما هي الخطوات والمواقف التي يجب اتخاذها.

هذا هو الإسلام في حقيقته، عقيدة فكرية سياسية ينبثق عنها نظام لكل شؤون الحياة، نباهة فكرية وسياسة ينتج عنها التزام متين بالأوامر والنواهي. هذا هو الإسلام الواعي أما الدين الاستعماري فهو الذي يقول لك: «لأي شيء تتحمل ثقل المسؤولية الاجتماعية ولأي شيء تحارب الظلم والطغيان؟ يكفيك أن تفتح كتاب الأدعية وتقرأ هذا الورد ست مرات وبعدها لا يبقى عليك شيء وستغفر ذنوبك كلها!! أو يكفيك أن تحفظ ما تستطيع من آيات القرآن غيباً فإنك سترقى بكل حرف درجة في الجنة!! أويكفيك أن تدخل السرور إلى قلب واحد أو تقضي حاجة آخر حتى تبدل سيئاتك حسنات وتقضي عنك كل المسؤوليات الاجتماعية!!!».

للاستعمار إذاً شكلان: مباشر وغير مباشر. فالمباشر منه عبارة عن تصريف الأذهان إلى الجهل والغفلة وسوقها إلى الضلال والانحراف. وأما غير المباشر فهو عبارة عن إلهاء الأذهان بالحقوق الجزئية الفرعية لتنشغل عن المطالبة أو التفكير بالحقوق الأساسية الكبيرة [وذلك كإلهاء المسلمين بالمطالبة بالرغيف من أجل صرفهم عن المطالبة بهدم النظام الفاسد أو إلهائهم بالمطالبة بجعل يوم الجمعة عطلة رسمية من أجل صرفهم عن المطالبة الحكم بما أنزل الله]

فمثلاً لنفرض أنني أنا قيِّمٌ على صغير غني وأريد أن الهيه فأختلس ممتلكاته وأنقلها باسمي دون أن يعلم، فقصدي إذاً أن أستحمره بإحدى أدوات الاستحمار، فإذا ما رأيته جميلاً ذا قامة مناسبة أشجعه على الرياضة ذاكراً له محاسنها فيسير في وادٍ من الخيالات والأمنيات كالباريات الدولية والألعاب الأولمبية ويعيش أسير أحلام الشهرة وما شابه. وإذا رأيته من غير هذا النوع بل من طراز أولئك المثقفين المتجددين فأشجعه على الدراسة وأذكر له فضائل العلم حتى يحصل على الشهادات العالية ثم أعمل حتى أساعده على السفر إلى أمريكا لإتمام دراسته وأتكفل بتأمين ثلاثة أو أربعة آلاف تومان له شهرياً وما ذلك إلا لاختلاس ثروته وميراثه. وإن كان غير صالح للرياضة أو للدراسة بل هو من نوع أولئك العاطفيين يهوى العزلة والخيالات، فأشجعه على الزهد والعزلة والأدعية والزيارات وأبذل له كامل ما يريد من أجل نذر وزيارة، وما ذلك إلا لكي الهيه وأقضي حاجتي معه!!.. وأخيراً يصبح عندنا جماعة مشغولة بالأدعية وأخرى مهووسة بالرياضة وفريقٌ منشغل بالفنون والآداب وآخر بالعلم فكل شيء إذا يشغلني أنا كإنسان ونحن كمجتمع عن النباهة الفكرية والنباهة السياسية هو أداة استحمار مهما بدا حسناً وجميلاً □

الكتاب:
مفاهيم اسلامية

المؤلف:
محمد حسين عبد الله

يتناول المؤلف في كتابه الموضوعات التالية: الروح، الفكر (العقل)، الغرائز، الحاجات العضوية، العمل، القيم التي يحققها العمل، الشخصية (العقلية والنفسية)، المجتمع، كيفية تغيير المجتمعات.

يبدأ المؤلف بتحديد كلمة (مفاهيم) التي هي عنوان كتابه، فيقول بأن المفاهيم هي المعاني المحددة المبلورة للافكار. فالفكر إذا كان له مدلول خارجي، وأدرك الشخص هذا المدلول بشكل واضح واقتنع به، فانه يصبح مفهوماً من مفاهيمه التي تؤثر في سلوكه.

وبما أن الاسلام جاء به الوحي من عند الله فان المفاهيم الاسلامية هي ارقى المفاهيم قاطبة. ولهذا السبب قدّم لنا المؤلف مجموعة من المفاهيم الاسلامية مساهمةً منه في نشر رسالة الاسلام، فقال في الاهداء: (إلى الذين أضاءوا بفكرهم المستنير ظلام ليل دامس خيّم على أمتهم منذ عقود. إلى الشباب الذين يتطلعون بشوق نحو النهضة الصحيحة ليتفيؤوا ظلال راية لا إله إلا الله محمد رسول الله).

في بحث الروح فرّق المؤلف بين الروح التي هي سر الحياة والروح بمعنى ادراك الصلة بالله. والروح بمعنى سر الحياة عبّرت عنها الآية الكريمة: ﴿فاذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾ وعبرت عنه الآية الكريمة: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ وأما الروح بمعنى إدراك الصلة بالله، والتي يتولد منها شعور عند الانسان بعظمة الخالق وقدرته (وهذا الشعور هو الروحانية). الروح بهذا المعنى هي شيء آخر غير سر الحياة، مع أن علماء اليونان الاقدمين واتباع الحضارة الغربية هذه الايام يخلطون بين الامرين.

وفي بحث الفكر يقول المؤلف بأن الفكر والادراك والعقل مترادفات. أي اسماء لمسمى واحد. وهذا المسمّى له مكوّنات أربع هي: الدماغ الصالح، والواقع المحسوس، والاحساس، والمعلومات السابقة عن هذا الواقع. الحيوان لا يحصل عنده فكر بل يحصل عنده تمييز غريزي، ودماغه غير مهيأ للعمليات الفكرية. هكذا فطره الله. أما الانسان فقد كرّمه الله وفضله على الحيوانات بالقدرة على التفكير. ولكن الانسان يبقى بحاجة إلى من يزوده بالمعلومات الاولى. وقد زوّد الله آدم بالمعلومات الاولى ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾.

وفي بحث الغرائز يذكر المؤلف ثلاث غرائز هي: **حب البقاء، والنوع، والتديّن**. وكل واحدة يندرج تحتها فروع كثيرة لها أو هي مظاهر وأشكال للغريزة.

وفي بحث الحاجات العضوية يتحدث عن أعضاء الجسد وحاجات هذه الاعضاء.

ويعقد مقارنة بين الغرائز والحاجات العضوية خلاصتها أنها كلها فطرية في الانسان وتولد فيه طاقة حيوية تحركه وتدفعه لتلبية رغباتها ولكنهما يختلفان من وجهين: **الاول** ان الحاجات العضوية كالحاجة للطعام والتنفس والنوع اشباعها حتمي. والحرمان يؤدي إلى الهلاك، أما الغرائز فان حرمانها يؤدي إلى القلق فقط وليس إلى الموت. **والثاني** إن الحاجة العضوية تثار من الداخل بينما الغرائز تثار من الخارج.

وفي بحث العمل يقرر المؤلف أن العمل مادة، وأن هذا العمل يجب أن يقام به بعد معرفة حكمه من كونه حلالاً أو حراماً. فالعمل مادة وإدراك الصلة بالله عند القيام بالعمل هو الروح. فيتم تسييح العمل بالروح. ويذكر المؤلف القاعدة للقيام بالأعمال فيقول: (وأما العمل عند المسلم فيجب أن يمر في المراحل التالية مرتبةً الغريزة، فالمظهر أو الحاجة العضوية، فالاحساس، فالتفكر قبل العمل، فالعمل في جوّ إيماني لتحقيق القيمة التي حددها الشرع من ذلك العمل). ويحدد المؤلف القيَم للاعمال جميعاً وانها اربع قيم: القيمة المادية (أي الربح)، والقيمة الروحية، والقيمة الانسانية، والقيمة الخلقية. ثم يذكر سلّم القيم، أي أن هذه القيم تتدرج فيسبق بعضها بعضاً مثل درجات السلّم. ولكن هذا التدريج ليس ثابتاً بل قد يتقدم تحقيق قيمة على اخرى مرة ويتأخر عنها مرة أخرى. والذي يقرر التقديم والتأخير في سلم القيم هو الشرع وليس الهوى. وفي اطار الالتزام بالسلّم الشرعي لتحقيق القيم الرفيعة يتحدث المؤلف عن اتخاذ القرار الحاسم.

وفي بحث الشخصية يذكر المؤلف انها تتكون من **العقلية والنفسية**. **والعقلية هي الكيفية التي يجري على** أساسها عقل الشيء أي ادراكه. فالمسلم ينظر للاشياء والافعال من خلال العقيدة الاسلامية والمفاهيم الاسلامية، فتصبح لديه العقلية الاسلامية. **والنفسية هي** الكيفية التي يربط بها الانسان دوافع الاشباع بالمفاهيم. فالمسلم حين تتحرك عنده الغرائز أو الحاجات العضوية تتطلب الاشباع فانه لا يتبع الهوى في هذا الاشباع بل يتقيد بالأحكام الشرعية الاسلامية. فتصبح لديه النفسية الاسلامية. فإذا تمت صياغة النفسية والعقلية على وجهة نظر واحدة كانت الشخصية منسجمة ومتميزة.

وفي بحث المجتمع يقول: (فمكونات المجتمع، أي مجتمع، هي الافراد والافكار والمشاعر والأنظمة). ويقول: (فالمجتمع المتميز هو المجتمع الذي يكون فيه الافراد والافكار والمشاعر والانظمة من جنس واحد). ويقول: (فالمجتمع الاسلامي أفراده (في معظمهم) مسلمون وأفكارهم اسلامية ومشاعرهم اسلامية والنظام المطبق عليهم هو النظام الاسلامي) □

سؤال وجواب

السؤال ١:

في صفحة أخبار المسلمين في مجلة (الوعي) عنوان هو حديث: «من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم». وأنا قرأت أن هذا الحديث ضعيف. فهل يجوز الأخذ بالأحاديث الضعيفة؟

الجواب ١:

الحديث المذكور أعلاه هو حديث صحيح وليس ضعيفاً. لقد ذكره السيوطي في (الجامع الصغير) ج ٢/ ص ٤٩٤ برقم (٨٤٥٣) على النحو التالي: «من أصبح وهمه غير الله فليس من الله، ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم» رواه الحاكم عن ابن مسعود وهو صحيح.

ونقل الشيخ عبد العزيز البدري - رحمه الله - في كتابه: (الإسلام بين العلماء والحكام) الحديث على النحو التالي: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح لا يهتم للمسلمين فليس منهم» رواه البيهقي في شعب الإيمان ورواه الطبراني وأبو نعيم.

ونحن يكفينا أن يقول عنه المحقق السيوطي بأنه صحيح.

وفوق ذلك فإن المعنى الذي تضمنه الحديث قد ورد في نصوص كثيرة نذكر منها قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ وقوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يحقره ولا يظلمه» وقوله: «المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً» وقوله: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم» وقوله: «المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمّى» وقوله الوارد في وثيقة المدينة: «إنهم أمة واحدة من دون الناس، . . . وان المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف. . . وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم. . . وإن سلم المؤمنين واحدة. . . وانه لا يحل لمؤمن. . . أن ينصر مُحدِثاً أو يؤويه».

أما عن الأخذ بالأحاديث الضعيفة فإنه ليس بواجب. بعض الأصوليين قالوا بالعمل بالأحاديث الضعيفة في مكارم الأخلاق. وهذا الكلام لا حاجة له لأننا إذا عرفنا أن هذه المسألة من مكارم الأخلاق فلا بد أن يكون لدينا دليل صحيح أنها كذلك، وعندئذ نعمل بناء على الدليل الصحيح ولا حاجة لأن نعضد الدليل الصحيح بدليل ضعيف. وإذا لم يكن لدينا دليل صحيح على أن المسألة من مكارم الأخلاق فلا يجوز لنا أن نصنفها بناء على عقولنا ثم نستدل بالحديث الضعيف.

السؤال ٢:

هناك قاعدة شرعية تقول: «الحَسَنُ ما حسنه الشرع والقبيح ما قبّحه الشرع». وهناك حديث لرسول الله ﷺ يقول: «الاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس». أليس من تعارض بين القاعدة والحديث؟

الجواب ٢:

الحديث صحيح، والقاعدة الشرعية صحيحة لأنها مستنبطة من نصوص صحيحة باجتهاد صحيح. الحديث جاء ليعطي للمرء علامة من علامات الإثم، وليس هو تعريفا جامعا مانعا لمعنى الإثم. مثلاً هناك شخص استدّ ديناً له على آخر. فلما عد النقود وجدها

أكثر مما له فكتم الأمر وأخذ النقود. وبعد أن ذهب إلى بيته عدّ النقود مرة ثانية فوجدها صحيحة، أي أنه كان مخطئا في العد الاول. فهذا الشخص آثم لانه اضمر أن يأكل المال الزائد (مع أنه في الحقيقة لم يكن زائدا). لقد حاك في صدره أن المال المدفوع إليه أكثر من حقه، وكره أن يطلع دافع المال على ذلك. فهذا إثم بالنسبة إليه. والذي جعله آثما ليس كراهته اطلاع الناس عليه، بل الذي جعله اثما هو النصوص التي حرمت أن يأكل المسلم مال غيره من دون طيب نفس منه او حق له. أما كراهيه اطّلاع الناس فهي علامة على انه يعتبر هذا الأمر محجلا ومهينا أي حراما. لان الناس لا يخجلون من الحلال. فإذا صار لديه ترجيح أنه حرام فإنه يأثم إذا اقدم عليه سواء كان في حقيقته حراما أم لم يكن.

اما إذا كانت عند الشخص مسألة من خصوصياته، وهو يعلم انها حلال له ولكنه يكره أن يطّلع الناس عليها، في هذه الحالة لا يعتبر اثما لان كراهية اطّلاع الناس ليست علة في جلب الإثم.

وكذلك هناك اشخاص مردوا على المعاصي، فهم لا يستحون ولا يهتمون عند ارتكابها، ولا يخجلون إذا اطلع عليهم الناس، أي أن هؤلاء حين حالة ارتكاب المعصية في صدورهم لم يأبهوا إذا اطّلع الناس او لم يطلعوا هؤلاء إثمهم أكبر لانهم صاروا كمن يستمل المعصية.

السؤال ٣:

الشباب الذين يسافرون للدراسة في روسيا او بلاد الغرب يرغبون في الزواج ولكن بنيّة الطلاق عند انتهاء دراستهم وليس بنية الزواج المؤبد. هل هذا جائز شرعا؟

الجواب ٣:

إذا ذُكر في العقد أو شروطه مدة محددة للزواج كان الزواج باطلاً. هذا ما اتفق عليه الائمة الأربعة: مالك والشافعي وأبو حنيفة وابن حنبل.

أما إذا كان الزوج يضمر في نفسه نية الطلاق بعد مدّة دون ان يخبر المرأة او وليها بذلك، اثناء العقد ولا قبله ولا بعده فإن الزواج صحيح عند المالكية والاحناف، وهو باطل عند الحنابلة. ونحن ننقل عبارة الجزيري في (الفقه على المذاهب الاربعة). **[المالكية: ولا يتحقق نكاح المتعة إلا إذا اشتمل على ذكر الأجل صراحة للولي، او للمرأة، او لهما. فإن لم يذكر قبل العقد او يشترط في العقد لفظا، ولكن قصده الزواج في نفسه فإنه لا يضر]** ونكاح المتعة هو نفسه النكاح لاجل. **[الحنفية: وإذا نوى معاشرتها مدة ولم يصرح بذلك، فإن العقد يصح]. [الحنابلة: وإذا لم يذكر الاجل في صيغة العقد، ولكن نوى في سره ان يمكث معها مدة، فإنه باطل ايضا. فلا يصح إلا إذا نوى انها امراته ما دام حيا].**

فإذا كان الشخص يقلد مذهباً من هذه المذاهب فهذه هي أحكامها. والذي نرجحه نحن هو ما ذهب إليه السادة المالكية والحنفية، لان العقود هي من التصرفات القولية، والتصرفات القولية لا عبرة فيها للنية وإنما العبرة فيها بصيغة العقد. والنية هي مسألة بين العبد وربه لان الله هو وحده الذي يطلع على النوايا. أما المعاملات بين الناس فالذي يؤثر فيها هو صيغتها الظاهرة.

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، فانه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرْج. ومَنْ لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» رواه الجماعة وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تُنكحُ المرأةُ لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفرْ بذات الدين تربت يداك» رواه الجماعة الا الترمذي.

المعركة المتجددة حول الدين والدولة الخلاف حول الخلافة

١

تحت هذا العنوان نشرت مجلة «العالم» مقالاً موزعاً بين الاعداد ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١ وقد رأت الوعي ضرورة نشر هذا المقال لاتاحة الفرصة لقرائها لمطالعة هذا البحث الذي يحمل وجهة نظر كاتبه والذي وقع اسمه بالاحرف الاولى (ع ح) يقول الباحث في هذا المقال:

في العشرينات من هذا القرن الغى كمال اتاتورك نظام الخلافة وفصل سياسة الدولة عن الدين، ثم سعى في تهميش دور الدين وتغيير هوية الدولة والمجتمع. وقد صدرت حينذاك كتب عدة ناقشت موضوع الدين والدولة ومنها كتاب «الاسلام واصول الحكم» لعلي عبد الرازق الذي اقام ضجة بالدعاوي التي اثارها. وبعد قرابة نصف قرن من ذلك اعيد نشر الكتاب محققاً واثير النقاش مرة اخرى حول هذه القضية الهامة.

صدر كتاب «الإسلام واصول الحكم» عام ١٩٢٥ وهو يقع في ثلاثة فصول سماها المؤلف كتبا واعطاها ترتيبا متسلسلاً. ووردت فيه إشارات إلى انه قد كتبها في فترات زمنية مختلفة. ففيه فقرات ذكر انه كتبها ايام السلطان محمد الخامس (١٩١٥ ـ ١٩١٦) بينما جرت الإشارة في فقرات اخرى إلى كتاب «الخلافة للمستشرق الانجليزي «ارنولد» الصادر عام ١٩٢٤ وكتاب «الخلافة او الإمامة العظمى» للشيخ محمد رشيد رضا الذي نشر عام ١٩٢٣. والكتاب بمجمله لا يزيد على سبعين صفحة من الحجم الكبير في الطبعة الحديثة (نشره محمد عمارة محققا عام ١٩٧٢). ونرى ان حجم الكتاب لا يتناسب مع مقدار الزمن المصروف في الكتاب كما أن مناقشاته لا تحمل الصفة العلمية الدقيقة بل هي خلاصات سريعة ولكنها متتابعة في عُجالة المثلهف لوصول هدف محدد. وقد استفاد المؤلف كثيرا من كتاب ارنولد ونقل ليس مجرد افكاره، بل الروح الصليبية التي صدر عنها ايضا. وكان هدف «ارنولد» الطعن في شرعية الخلافة الإسلامية. والتدليل على انها تفتقر إلى سند من القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف. ومضى عبد الرزاق في هذا الاتجاه لا ليعلن عدم شرعية الخلافة فحسب، بل تجاوزها إلى القول إن نظام الحكومة ذاته ليس من متطلبات الدين وأن النبي الاكرم ﷺ لم يكن مؤسس دولة دينية بل كان مبلغ رسالة اخلاقية، وأنه عن طريق الصدفة إن شئت، كوّن «مملكة دنيوية». إن النظرة المسيحية واضحة في فصل عبد الرازق بين الدعوة الدينية والمملكة الدنيوية، حيث يدعي ارنولد أن سيدنا عيسى لم تتح له الفرصة لتكوين دولة دينية فبقي الأمر في يد القيصر. ولما كان سيدنا محمد ﷺ قد أفلح في بناء الدولة الإسلامية الاولى في مجتمع المدينة وما بعد الفتح، فإن ارنولد، وغيره من المسيحيين المتعصبين قد نفوا عنه ذلك. وإذا كان الأمر كذلك فما هو شأن شيخ ازهري مثل عبد الرازق بما ذهب إليه ارنولد؟ الإجابة على ذلك لا تكشف نفسها على الصعيد النظري الخالص بل يتبغي البحث عما وراء ذلك.

عبد الرازق والسير ارنولد في اكسفورد

إن عبد الرازق كان مدينا في محاججاته إلى السير ارنولد والذي نعتقد انه ربما اتصل به خلال السنتين

اللتين قضاهما في اوكسفورد (١٩١٢ ـ ١٩١٤) طالبا للغة الانكليزية ثم دارسا للاقتصاد والعلوم السياسية (لم يكمل دراسته بسبب قيام الحرب العالمية الأولى) وقد ذهب احد الأساتذة إلى أن ارنولد نفسه ربما يكون المؤلف الحقيقي للكتاب (الدكتور محمد ضياء الدين الريس: الإسلام والخلافة في العصر الحديث ص ١٦٦). وقال عنه الدكتور محمد محمد حسين انه «يعتمد على المستشرقين فيما لا يوثق بهم فيه، بينما يفرط تفريطا ظاهرا في الرجوع إلى المصادر العربية الأصلية على كثرتها واهميتها وتوافرها» (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج ٢،ص ٧٤). إلا ان حصر النقاش بالصلة بين ارنولد وعبد الرازق يخفي واقعا أعمق، ذلك هو: ما جدوى الإهتمام بطرح موضوع الخلافة، خصوصا وأنها كانت قد الغيت قبل صدور كتاب عبد الرازق؟

هناك إجابتان عن هذا السؤال. الإجابة الأولى صدرت عن مؤيدي الكتاب من المتأخرين الذين اوّلوا التاريخ فقالوا إنما قصد من وراء كتابته قطع الطريق على تفكير الملك فؤاد (ملك مصر وقتها) بترشيح نفسه خليفة للمسلمين بعد أن اصبح منصب الخلافة شاغرا

والجواب الثاني ما قال به فريق من الكتاب المسلمين (محمد نجيب، محمد محمد حسين، ضياء الدين الريس، محمد حسين الخضر، رشيد رضا) وفحوى جوابهم أن كتاب عبد الرازق ليس حادثة مفردة تتعلق بشخص، وإن كانوا قد كتبوا ردودا عليه، وإنما هو حلقة من مخطط واسع تقف وراءه انجلترا ويهدف إلى قطع السبيل على أي تفكير بعودة الوحدة السياسية للعالم الإسلامي، والذي كان قسم كبير منه نهبا ممزقا بيدها

أما الجواب الأول فهو مردود من ناحيتين، الأولى أن الملك حتى لو انه رشح نفسه لمنصب الخلافة فليس هو المرشح الوحيد لها، ولا يوجد افتراض مسبق بأن الأمر سيصير إليه، فلا داعي لقلق عبد الرازق والثانية أن المؤلف عبد الرازق كان منتميا إلى حزب الأمة الذي كان مواليا للانجليز ومشاركا في الحكومة.

واما الجواب الثاني فله سند من التاريخ، ولكنه سند لم يعرض بشكله الكامل وبقي محتويا على ثغرات مهمة نحاول إيجازها في الفقرات التالية.

انجلترا وهدم الخلافة

قال الكتاب المسلمون (خصوصا في تعقيبات الشيخ رشيد رضا المنشورة في المنار مجلد ٢٦: ١٩٢٥/ ١٩٢٦/) إن كتاب عبد الرازق مؤامرة انجليزية هدفها إضعاف الإسلام من الداخل. وهو موجه ضد مصلحة الأمة الإسلامية. واستندوا في ذلك إلى وقائع الحرب العالمية الأولى ونتائجها، بل إلى ما قبل ذلك فيما عرف بالمسالة الشرقية. وكان الاحتلال الانجليزي ـ لمصر ـ منذ ثمانينات القرن الماضي وانتقامهم من عرابي وتشجيعهم للمخالفين للسلطان العثماني وإعطاؤهم فرصة التحرك من أراضي مصر، شواهد بينة على سوء طوية الانجليز وإضمارهم الشر للخلافة الإسلامية.

التاريخ السري للاحتلال البريطاني لمصر

وينبغي لنا أن نمسك هنا بالخيط الذي يقدمه السير «ويلفريد بلنت» في كتابه (التاريخ السري للاحتلال البريطاني لمصر) حول صلة انجلترا بالخلافة في مرحلة تغير مواقفها منها. وهذا الرجل الغريب، والذي يندر أن تجد كتابة عربية مستوفية حول حياته وأعماله هو الوحيد الذي باستطاعته ان يعطينا الحلقة المفقودة. لقد أعطيت لهذا الرجل مهمة غريبة ففي حوالي عام ١٩٦٩ استقال من خدماته في السلك الدبلوماسي واعتزل في حياة هادئة، ولكنه ومنذ عام ١٨٧٢ بدأ بجولات مريبة، ليس هنا مجال تفصيلها، في كل من اسطنبول والجزائر والقاهرة وبلاد الشام وحائل ونجد. وقد رافقته زوجته في هذه الرحلات وجمعت رحلتيهما الشامية والنجدية في كتابين هما «عشائر غربي الفرات» و «رحلة إلى نجد». ولكن الأهم من ذلك توثيقه للصلات مع جماعات (الإصلاح) في المنطقة العربية لا سيما الشيخ محمد عبده في مصر، وعبد القادر الجزائري أثناء وجوده في بلاد الشام وتقربه من الحلقات العلمية والسياسية في حلب ودمشق. ولم تعد متعة السفر وحب الصحراء والبداوة كافية لتبرير اهتمامه بالمنطقة. بل تجاوزها إلى جمع معلومات مهمة عن التوجهات الفكرية الموجودة وآفاق الاستفادة منها، وتبادل مع رجال (الإصلاح) ومشاريع مهمة، أصدر بعضها في كتابه «مستقبل الإسلام». وهذا الكتاب هو دراسة ميدانية لتوجهات الرأي في المنطقة العربية، ممزوجة ببوتقة انجليزية ومقطرا من خلال قلم «بلنت».

وهو أول كتاب يناقش بصراحة مستقبل الخلافة الإسلامية ويقترح فيه تحويلها من قوة سياسية إلى سلطة روحية تشبه الفاتيكان ويخص بها العرب. وكان لكتابه اثرا لم يكشف عنه في الكتابات العربية

وإن توفرت عنه مصادر أجنبية، ذلك هو أنه الأب الروحي لفكرة الكواكبي عن الخلافة العربية التي دعا إليها في كتابه «أم القرى». وقد بقيت هذه النقطة مبهمة في الفكر العربي الحديث لا يجرؤ أحد على مسها لأنها توضح الكثير مما تلاها، وسنعرض لها بالتفصيل في مقال مستقل إن شاء الله. ولم تبق الفكرة أسيرة الكتابة المحددة، بل إن بلنت اعتبرها مشروع عمله، ورأت فيها السياسة الانجليزية أموراً أبعد من طرحه المشوش. والثابت أن «بلنت» قد طرحها على الشيخ محمد عبده، ولكن الأخير لم ير إمكانية تحققها (محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام، ج ١، ص ٩١٤) فحملها إلى الشام وطرحها على الأمير عبد القادر الجزائري، واقترح عليه أن يكون مرشحاً لها، وقد اعتذر الأمير عبد القادر عن القيام بالثورة المطلوبة لتحقيق انفصال الأقطار العربية عن الخلافة لإقامة خلافة جديدة بسبب سنّه، واقترح أن يتولى التفاصيل ولده محمد، ولكنه قبل الترشيح لها حال تحققها (بلنت: التاريخ السري للاحتلال البريطاني لمصر، ص ١١٨) واجتمع رأي الرجلين على أن أمراً مثل هذا لا يكتب له النجاح إلا بمساعدة أجنبية. وقام «بلفت» بالكتابة إلى «غلادستون» في مقر الحكومة بلندن ولكن الأخير لم ير حاجة ماسة للقيام بذلك في وقت اشتعال الحرب التركية ـ اليونانية؛ ورأى أن مستقبل علاقتهم بالخلافة يرتبط بنتائج الحرب.

انجلترا تواصل العمل لهدم الخلافة

ولم تترك انجلترا الموضوع إلى غير رجعة، فإنها بعد احتلالها لمصر عام ١٩٨٢ أخذت تطور معرفتها بالعالم العربي، مستفيدة من خبرتها في الهند. وقد اجتمعت الخبرتان في اللوردكرومر الذي أعطى لمرحلة فلقة من تاريخ مصر طابعها واتجاهها الخاصين. وإلى كرومر يعود تأسيس حركة التغريب في مصر، وكذلك تنشيط جماعة «المقتطف» وتمويلها وتحريك الجماعات الليبرالية والتي ستجد صوتها الواضح مع أحمد لطفي السيد وصحيفته «الجريدة»، وجماعته «حزب الأمة»، ومحمد حسين هيكل وصحيفته «السياسة الأسبوعية»، وقد سعت هذه الجماعات جميعاً إلى إدخال الفكر الغربي، خصوصاً في إطار التفكير السياسي.

وكانت السلطة المحتلة (انجلترا) قد خاضت معركة ضارية ضد الإتجاه الذي تزعمه الحزب الوطني بقيادة مصطفى كامل قبل الحرب العالمية الأولى، والذي يدعو إلى دعم الخلافة وربط مصر بها

ويظهر أن انجلترا قررت وقت الإنقلاب العثماني الأول عام ١٩٠٨ والثاني عام ١٩٠٩ وتلاعب شباب الاتحاد والترقي بالخلافة وطردهم عبد الحميد وتنصيبهم محمد الخامس، إن الخلافة سوف لن تستمر طويلاً. ورجعت خطة «بلنت» إلى الذاكرة السياسية الانجليزية ولكن في صورة جديدة، إن انجلترا لا تريد للخلافة أن تستمر في يد العثمانيين الأتراك على الطريقة التي عهدها المسلمون، أي سلطة سياسية وروحية، ولم تعد قابلة حتى بمجرد طرحها على أنها مهمة أخلاقية دينية (بابوية)، وإنما أعادت التفكير بالمسألة في ضوء جديد. وقد تبين لبريطانيا أن نزع البلاد العربية من يد الأتراك في حال قيام حرب شاملة أمر لا يحتاج إلى افتراض خلافة تعيد إلى الذاكرة وحدة العالم الإسلامي، وتثير لها المشاكل في الهند ومصر وغيرها، وإنما يتم لها ذلك عن طريق إثارة النزعة القومية. وسنجد هنا خطابا مماثلاً لخطاب «بلنت» يتولاه عدد من البريطانيين الذين سيؤلفون فيما بعد «المكتب العربي» بالقاهرة وينسقون مهمات التجسس والتآمر على الوطن العربي والإسلامي، وأبرز هؤلاء لورنس، مس بيل، سانت جون فيلبي. وإن حديث هؤلاء الثلاثة عن العرب لا يختلف في شيء عن حديث بلنت وفكرتهم عن إقامة دول عربية موحدة هي صورة لتفكير «بلنت» مع نزع الخلافة عنها بكل اهتمام واعتبار.

إن الدين في النظرة الجديدة أمر فردي لا يقوم أمام الأمر العام الذي هو الإحساس بعروبة ابن المنطقة واعتداده بأصله. وكان «بلنت» قد سجل في مذكراته: إن البدو ليسوا مهتمين بالدين على اية حال وقلّ من بينهم من يعرف الأحكام البسيطة والفرائض، كالوضوء والصلاة. إن الخلافة إذن أمر يعود للتاريخ في هذه الصورة الجديدة التي رسمتها الأجهزة الانجليزية، وطالما كانت قد انتزعت من العرب وتغافل هؤلاء عنها فلا حاجة لبعث التاريخ القديم. ثم إن انجلترا سعت في هذا الطريق فوصلت إلى انشواط عامة فالعرب هم الذين طردوا الترك نيابة عنها من كامل الجزيرة العربية وبلاد الشام، وقد حان الوقت لأن تُقبر الخلافة بعد أن خرجت منحورة في الحرب العالمية الأولى. وكانت انجلترا تطور معرفتها بهذه القضية الهامة، وأولاها مؤرخوها قدراً كبيراً من الاهتمام الذي تجلى في كتاب ارنولد. إن الخلافة حادثة تاريخية في تصور لارنولد لا يقوم عليها دليل من الكتاب والسنة، ويضيف تلميذه العربي عبد الرازق

إنهاء الخلافة

وما أن أعلن اتاتورك إنهاء الخلافة في ٣ آذار (مارس) ١٩٢٤ حتى شغر منصب الخلافة وقد قامت أطراف إسلامية تطالب بها، وكان أولهم الشريف حسين، فقام الإنجليز بدعم خصمه ابن سعود لقمعه إلى الأبد، ومن مفارقات الأحداث أن ابن سعود ذاته طرح فكرة إقامة مؤتمر إسلامي بعد استيلائه على الحجاز، وقد جرى فعلاً عقد المؤتمر في مكة عام ١٩٢٦ ولكن ابن سعود اعلن قبل افتتاحه انه لا علاقة له بالخلافة (حسن. ع: المجتمع الإسلامي في أزمة، أطروحة دكتوراة غير منشورة) وبعد فشل مؤتمر القاهرة أيضاً في الاتفاق على خليفة جاءت ضربة ارنولد لتلغي كل تفكير مستقبلي فيها حتى حين.

إن زوال الخلافة على يد مصطفى اتاتورك لم يكن حدثاً منفصلاً عن سلسلة من التطورات التاريخية، ويرجع أغلب المؤرخين والدارسين بداية تقويض أسس الخلافة الى مرحلة التنظيمات منذ عهد سليم الثالث وحتى حكم عبد الحميد الثاني، إذ انها خطت في طريق تحديث مقلول لم يراع كثيراً طبيعة الدولة ولم ينظر إلى الآفاق البعيدة وقد ساعدت الجماعات الماسونية على توجيه هذه التطورات بما يخدم علمنة الدولة على المدى الطويل، وهو الهدف الذي تحقق في قرار إلغاء الخلافة. وتعتبر السنوات الواقعة ما بين الانقلاب العثماني الأول عام ١٩٠٨ وتاريخ قرار الإلغاء من أشدّ الفترات التي اهتز فيها عرش الخلافة وفقد معناه. ويمكن القول بلا تجاوز، إن الفترة ما بين الإنقلابين العثمانيين الأول والثاني الذي تلاه بعد أقل من سنة هي المسافة الزمنية التي حسم فيها موضوع الخلافة. وليس أصدق دليلاً على ذلك من أن الخلفاء محمد الخامس (١٩٠٩ ـ ١٩١٨) ومحمد السادس (١٩١٨ ـ ١٩٢٢) وعبد المجيد (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤) لم يلعبوا أي دور يذكر في الأحداث التي مرت بها الدولة العثمانية. ويكفيك أن وحيد الدين الملقب محمد السادس قد فضّل الخروج منفياً على ظهر باخرة انجليزية ملتجئاً إلى قبرص ومن ثم إلى الشريف حسين في مكة المكرمة. وأن عبد المجيد وُلّي امر الخلافة كمنصب اعتباري (تقليدي أو روحي) وأن امر السلطنة (الحكم) قد وضع فعلياً في يد اتاتورك.

والحقيقة التي تطرح نفسها أمام الدارس للتاريخ هي أن هناك خطاً معيناً لتطور الأحداث كان يشير بشكل قاطع إلى أن الخلافة في طريقها إلى الزوال. وليس هذا الخط الحتمي الذي صارت إليه الأمور هو من قبيل الأقدار التي تجهل أسبابها، بل إن لها مقدمات مشخصة في ذات التحركات التاريخية التي انطوت عليها تلك الفترة. وإذا تم تجميع خيوط تلك الأسباب ونظمها في سلك واحد (وهو ما يحتاج إلى بحث تفصيلي ومستقل ليس هنا موضعه) لاتضح أن قرار إلغاء الخلافة وسلسلة الأحداث التي سبقته، وتلك التي تلته، لم تحصل من قبيل الصدفة والاتفاق، بل إن وراءها مؤامرة ضلعت فيها أطراف كثيرة. خذ مثلاً أن العشرينات كانت من أوسع فترات تمدد الاستعمار وانتشاره خصوصاً في الأراضي الإسلامية وأن أساليب كثيرة قد ابتدعت (ومنها الغزو الثقافي) لربط البلاد المستعمرة بالمركز الاستعماري، وهي في كثير منها محاولات متعسفة. فكيف تفكر دولة مثل تركيا الاتاتوركية بالتخلي، ليس فقط عن السيادة الواقعية على الأطراف التابعة لها، بل بتر أية صلة روحية وثقافية تربطهما معاً، وهو المعنى المتضمن في إلغاء الخلافة؟ وليس هذا فحسب بل السعي لإماتة هذا الحس في ضمير الشعب التركي ذاته وقلب الأمة الإسلامية الواسعة وهو ما سنعرض له في هذا المقال.

هول المفاجأة

لا شك أن المسلمين قد رُزئوا خلال الحرب العالمية الأولى بفاجعة انهيار عاصمة الخلافة واحتلال الحلفاء لاستانبول. وقد سجل بعض الذين عاشوا تجربة سقوط تركيا بيد القوات الغازية المسيحية صوراً تدمي القلب ولكنها في الوقت نفسه تبين واقع الإحساس الشعبي الإسلامي بما كان يجري آنذاك. وقد غُيب ذلك عن الأجيال التالية من الشباب العربي وباسلوب ماهر أديب لديهم فيه الإحساس بالمكانة الخاصة للعالم الإسلامي ووحدته وجرى التركيز على الوحدات المستقلة المنفصلة والمجزأة التي ورثت وحدته الشاملة. ويكاد يكون أغلب العرب الذين عاشوا تلك الفترة واحتلوا فيما بعد مناصب في السياسة والحياة العامة وقد قلبوا انطباعاتهم عنها وتجاربها إن لم يكونوا قد استهجنوها وهناك لفتات عابرة تجدها في مذكرات بعضهم في كل ما تركوه للجيل الجديد. من ذلك مذكرات طالب مشتاق التي نشرها أواخر الستينات بعنوان «أوراق ايامي» وفيها صورة محزنة لعاصمة الخلافة وقد اقتطعت إلى مناطق نفوذ خُلّق على كل ناحية منها علم دول الحلفاء، واستهتر بها أفراد جيشهم المحتل. وكان صاحب المذكرات شاباً لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، توجه من العراق إلى تركيا لغرض الدراسة. وبقي لهذه ثائر في حياته حتى عندما استغرقته أحداث

السياسة وادخلته في تشعبات كثيرة بعيدة عن مجد الخلافة التليد. وكان شعور الحزن مسئوليا على جميع المناطق الإسلامية وان نصرة الخلافة جاءت من مناطق لا يصدق احد انها ستبدي ولاء ثابتا للاتراك، مثال ذلك العراق بأكمله وهو الذي كان يقال عنه انه منفى الولاة وجنوبه بالخصوص المعروف بالنزاعات العشائرية المستحكمة ضد الإدارة العثمانية

وفي هذه الظروف ثارت الحمية في الجيش التركي فتقدمت قطاعاته بقيادة مصطفى كمال الذي لقب بالغازي واخذ يستنفذ اطراف تركيا [وكل ذلك بترتيب الانجليز لكي يصبح في نظر الاتراك بطلاً وليس عميلاً لهم] فعمت الفرحة قلوب المسلمين وامّلوا من ذلك خيرا وتوقعوا لمجد الخلافة ان يتجدد. ووقف شوقي منشدا للفتح:

قل للخلافة قول بائك شمسها
بالأمس لما آذنت بدلوك
يا جذوة التوحيد هل لك مطفئ
والله - جل جلاله - مذكيك

ولكن هذا التفاؤل لم يعمّر طويلاً فسرعان ما رجع اتاتورك الى حقيقته التي داهن فيها طويلاً وهي أنه قومي علماني لم يحمل يوماً هم الخلافة ولم يفكر في امر الإسلام ووحدته. وقد كشف اتاتورك عن نواياه في مجموعة خطب القاها في الشهر الأول من تعيينه رئيسا لجمهورية تركيا عام ١٩٢٧، وكان صريحاً في أن نية إلغاء الخلافة والتصميم على تنفيذها تعود للعام الذي انتهت فيه الحرب العالمية الأولى (١٩١٨) وقال ما نصه «لو تم تمحيص توجهنا وافعالنا خلال السنوات التسع في سياقها المنطقي لتبين من اليوم الأول ان سلوكنا العام لم ينحرف عن الخط الذي رسمناه في قرارنا الأساسي او عن الهدف الذي انطلقنا لتحقيقه» وذكر اتاتورك ان وحيد الدين قد أدرك ذلك منذ البداية فوقف ضد هذه المساعي لانه كان عالماً بأن هدفها النهائي الغاء الخلافة وفعلاً كان السلطان وحيد الدين قد اعلن العصيان على اتاتورك واهدر دمه. ولكن الأمور تغيرت لصالح اتاتورك وفرّ السلطان فصدر قرار يقضي بأن منصب الخلافة قد اصبح شاغراً وجرى بذلك تنصيب عبد المجيد خليفة ولكن نزعت منه جميع الصلاحيات التي يتسير بها الحاكم السياسي واصبح وجوده مجرد استمرار لمنصب ألغي فعلاً اذ اصبحت الأمور في يد اتاتورك وقد شق ذلك على المسلمين، الا أن ما جاء بعده كان اشد هولاً اذ ان قرار اذار ١٩٢٤ قد ألغى حتى هذا المنصب الصوري.

المعترك الفكري

ان المعركة الفكرية التي سبقت قرار الالغاء وتلك

التي تلتها توضح بجلاء ان الاطراف ذات المصلحة في هذا القرار قد استعدّت لذلك منذ فترة طويلة. ويذكر الدكتور علي حسني الخربوطلي أن «من ابرز الكتب التي اهتمت بالخلافة الاسلامية في الفترة ما بين قيام حكومة الاتحاد والترقي سنة ١٩٠٨ وقيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ كتاب كتبه بالالمانية «وايت» تحت عنوان «سياسة الاتراك والخلافة» وترجمه الى العربية ورد على ما جاء فيه من اراء كاتب تركي مؤيد لحكومة الاتحاد والترقي هو محمد بك صفا ونشر في استانبول سنة ١٣٣١ هـ (الاسلام والخلافة، ص ٢٧٨) ويظهر من تلخيص الخربوطلي ان الكتاب كان مؤيداً لوحدة الخلافة الاسلامية ومحذراً من امكانية اقامة الانجليز لخلافة مستقلة في مصر، ومناصراً لسياسة الحزب الوطني في مصر ومشيداً بجهود مؤسس الحزب الذي أراد تخليص مصر من يد الانجليز وربطها بمقر الخلافة. الا ان مترجم الكتاب محمد صفا راى «أن غرض «وايت» كان الايقاع بين الخديوي وعرش الخلافة لتنال المانيا من وراء ذلك مأربا، والظاهر ان المسالة لا تتعلق بذم المانيا المتحالفة مع دولة الخلافة، بل تكشف عن جزء من النوايا المضمرة. هذا اذا اخذنا السرعة التي ترجم بها الكتاب والتعقيب الذي نشر حتى لكأن فكرة التعقيب اهم من الأصل الالماني.

لقد كانت الخطة العامة كما ذكر اتاتورك السعي خطوة خطوة تحسباً لعاقبة ردة الفعل الاسلامية داخل تركيا وخارجها. وكان التحضير الفكري جزءاً مهماً من ذلك وليس غريباً اذن أن يصدر عقب قرار الغاء الخلافة مباشرة كتاب ترجم بسرعة الى اللغة العربية بعنوان «الخلافة وسلطة الأمة» نقله الى العربية عبد الغني سني بك والكتاب مجهول المؤلف ولا تزيد صفحاته عن السبعين من القطع الصغير (محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب الحديث، ج ٢، ص ٥٧) وكان سني بك - كما عرّف في ظهر الكتاب- نزيل القاهرة والسكرتير العام لولاية بيروت ومتصرف اللاذقية سابقاً - قد نشر مقالاً في الأهرام مهّد فيه لفكرة الكتاب، ثم ضمّنه في المقدمة والكتاب مساق على شكل أفكار سريعة وموجزة تستهدف نزع اساس وتثبيت آخر محله فيما يخدم خطه الكماليين وملء بنقد آل عثمان وسيرتهم في الخلافة. وخوفا من ردّ الفعل فقد بقي الكتاب على احترام لأصل فكرة الخلافة، ولكنه أمعن في إشكالاته على صور تطبيقها، وحاول إبطال الخلافة العثمانية على اساس أن شرط القُرَشيّة غير متوفر فيها وأنه اهم الشروط في نظر الفقهاء. ولكنه استدرك على مطالبة الشريف حسين بها (والذي يقال إنه قرشي اصيل) بأن سطوه قريش قد

زالت بمرور الأيام فلم يبق لهذا الشرط موجب. وفي قوله الأخير تناقض مع ما كان قد بدأ به مقاله وقد عقب الدكتور محمد محمد حسين على ذلك بأن «الكتاب لا يبحث بحثا حرا ولكنه يهدف إلى خدمة أغراض معينة، ويستطيع المتفحص له أن يحس أن الكماليين كانوا يمهدون به لإلغاء الخلافة» وذهب المؤلف المجهول إلى أن الخلافة تتم بالانتخاب ولكن التجربة التاريخية أظهرت تعسفات كثيرة، ويرى أن هدف الخلافة تحقيق العدالة فإذا تمت عن طريق آخر انتفى أصل وجودها، كما أنه يجوز للخليفة أن يفوض حقوق الخلافة وواجباتها إلى واحد أو أكثر، مبررا بذلك انتزاع الكماليين لها فيما بعد من يد السلطان عبد المجيد.

والواقع أن ترجمة الكتاب وصدوره في القاهرة في شهر كانون الأول من عام ١٩٢٣ أمر ملفت للنظر، إذ انه سبق إلغاء الخلافة بثلاثة أشهر وجاء عقب كتابة الشيخ محمد رشيد رضا لكتابه «الخلافة أو الإمامة العظمى» الذي نشر في «المنار» في أيار ١٩٢٣. وقد مثلت محاولة الشيخ رضا بلورة للموقف الإسلامي وصياغة للاتجاهات التي سعت إلى الحفاظ على الخلافة ووحدة العالم الإسلامي وتحرير المناطق التي وقعت تحت سطوة الاستعمار الأجنبي. وناقش رضا في كتابه جميع الأمور المتعلقة بالخلافة، والاعتقاد الأساسي في كتابه هو «أن مسألة الخلافة كانت مسكوتا عنها فجعلها الانقلاب التركي الجديد أهم المسائل التي يُبحث فيها» ومن هنا جاء بحثه في إشكال الخلافة وطرق عقدها وانتصر لطريقة الانتخاب الشوروي بضرورة تطويرها على أساس يوافق الشرع من جهة والمعرفة بتطور (الزمن والحضارة) ولا يتم ذلك والفقه على جموده وإنما ينبغي فتح باب الاجتهاد. وقال بضرورة تأزر جهود العرب والأتراك على تقوية عمودها وحماية بيضتها، وعرّف بأسبقية العرب وأحقيتهم ولكنه اعترف أيضا بما للترك من جهد يُذكر فيُشكر. وألحّ على ضرورة تأسيس حزب للإصلاح وتهيئة كوادر ضرورية للقيام بواجبات الإدارة والخلافة. وحذر من مساعي الغرب الاستعماري والانجليز تخصيصا ومساعيهم لهدم الخلافة وحاول إغراء الأتراك بالمنافع التي يبذلها عليهم احتفاظهم بالخلافة لو انهم أخلصوا لها وأبرز أهميتها في حفظ وحدة العالم الإسلامي. وداعب في أتاتورك غروره إذ قال «لو عرف هذا الرجل العالي الهمة مصطفى كمال من الإسلام ما اعلم لامكنه أن يكون رجل العالم لا رجل الترك فقط». ولكن التاريخ أخذ مجرى آخر بعد أن أمعن أتاتورك في طريق العلمانية وأسقط الخلافة وألغى الهوية الروحية والسياسية التي وحدت العالم الإسلامي فتهشمت الأجزاء وبقيت تبحث عن هوية ضائعة.

تحديد الهوية والاتجاه

حينما انهارت الخلافة وسقطت الدولة العثمانية التي جمعت رباط أجزاء كثيرة في العالم الإسلامي، أضحت المنطقة ضحية التجزئة وأسيرة الإقليمية وقد طرحت هذه المشكلة على الصعيد السياسي ولكن آثارها على الصعيد الفكري لا تقل خطورة عن ذلك.

لقد كتب المستشرق «مارغليوث» معقباً على ذلك الحدث بعد مدة وجيزة من حدوثه متهكما من حالة العالم الإسلامي ومشيرا إلى الاتجاه الذي رسمه الغرب لمستقبل المنطقة حين يقول: «إذا كان العالم الإسلامي قد بقي سنة كاملة من دون خليفة فلربما أمكنه أن يظل كذلك إلى أمدٍ غير محدود» (مجلة العالم الإسلامي، العدد ١٤، الصادرة عام ١٩٢٤ ص ٣٣٤). وقد شهد عام ١٩٢٥ محاولات متعددة للإبقاء على وحدة العالم الإسلامي خصوصا من قبل مسلمي الهند، وكان المسلمون الهنود سباقين إلى عقد المؤتمرات والاحتجاج على مقررات معاهدة «سيفر» التي منحت الحلفاء حق التصرف بممتلكات الدولة العثمانية.

وانعقد مؤتمر للخلافة في القاهرة عام ١٩٢٦ بعد طول تأخير ولكنه لم ينجح في وقف التداعي، ولم يستطع أن يقرر شيئا سوى الاعتراف بالواقع المر وجاء في بيانه الختامي «إن الخلافة الشرعية بمعناها الحقيقي إنما قامت على ما كان للمسلمين في الصدر الأول من وحدة الكلمة واجتماع الممالك مما جعل الإسلام كتلة واحدة يأتمر بأمر واحد ويخضع لنظام واحد.. أما وقد تناثر عقد هذا الاجتماع وأصبحت ممالكه وأممه متفرقة بعضها عن بعض في حكوماتها وإدارتها وسياستها وكثير من بنيها تملكته نزعة قومية تأبى على أحدهم أن يكون تابعا للآخر فضلاً عن أن يرضخ لحكم غيره ويدخله في شؤونه العامة فمن الصعب تحققها الآن». لقد وضع المجتمعون أصابعهم على مواطن الداء ولكنهم لم يروا سبيلاً للعلاج. والمعنى الحقيقي لبيانهم هو أن تعابير مثل «الأمة الإسلامية» و «دار الإسلام» و «المسلمين» تواجه تحديا فريدا للمرة الأولى في تاريخها. الأمة الإسلامية أضحت معزولة عن بعضها، ودار الإسلام مقطعة إلى أجزاء محتلة من قوى صليبية ونظم الحكم والإدارة والتعليم المستحدثة تهدد أصل الإسلام وتغرض إعادة تحديد كلمة «المسلمين» وللمرة الأولى يطرح المسلم على نفسه سؤال الهوية في عالم سريع التغير وبشكل لا يرحم. يتبع

حديقة الوعي

﴿أَمْ حَسِبْتُم أَنْ تَدخلوا الجَنَّةَ ولَـمّا يأْتِكُمْ مَثَلُ الذين خَلَوْا مِنْ قَبْلِكم، مَسَّتْهم البأساءُ والضَّرّاءُ وَزُلْزِلوا حتى يقولَ الرسولُ والذين آمنوا معه متى نَصْرُ الله. أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قريب﴾.

قال رسول الله ﷺ: إن الله زَوَى لي الأرضَ فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها، وسيبلغُ ملكُ أمتي ما زُوِيَ لي منها»

وقال: «بشِّرْ هذه الأمةَ بالسَّنا والرِّفْعة والدِّين والنصْر والتمكين في الأرض. فمَنْ عمِل منهم عملَ الآخرةِ للدنيا لم يكنْ له في الآخرة نصيب».

قال (ﷺ): «إن من أهل النار نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها». ومعنى كاسيات عاريات: أن ثيابهن لا تؤدي وظيفة الستر إذا أنها تصف ما تحتها لرقّتها وشفافيتها.

عن الدوحة القطرية

قريب نصرنا

شعر: محمد محمد عبد العزيز صادق

متى يا نصرُ تطلُعُ في زمانا ... طُلُوعَ الفجْرِ من بعدِ اختناقِ
تُبدِّدُ كُلَّ أحزانِ الليالي ... وتجْعلُ عيشَنا حُلْوَ المَذاقِ
لأنْتَ النُّورُ يملأ كُلَّ قلبي ... بآمالٍ محبَّبَةٍ رقاقِ
متى تَدْنو فتصْفعَ كُلَّ ياسٍ ... وتَنْعَمُ باللِّقا بعدَ الفراقِ
أتبْقَى عن كتائبِنا بعيداً ... وتتْرُكُها تُلاقي ما تلاقي
لقدْ زادتْ مصائبُنا وكادتْ ... بها الأرْواحُ تَصْعَدُ للتراقي
ففي « أفغانَ » محتلٌ بغيضٌ ... وفي « لُبنانَ » بَحْرُ دمٍ مُراقِ
وفي القدسِ الشَّريفِ اليومَ أنعى ... مكائِدَها على قَدَمٍ وساقِ
وفي كُلِّ الدُّنا الإسلامُ يشكو ... ولا يَلْقَى فكاكاً مِنْ وَثاقِ
فهلاَّ عُدْتَ فالآكبادُ تَطْوَى ... تكادُ تذوبُ مِن حَرِّ إشتياقِ
سأعْملُ في سبيلك طُولَ عُمْري ... ففيكَ عزيمتي ولَكَ انطلاقي
أخُوضُ إليكَ بحراً مِن لهيبٍ ... ولا أخشَى فنائي واحْتِراقي
سَترجِعُ للحمَى وتَعودُ حتْماً ... لِتَمْسَحَ بالسَّنا لَيْلَ المَحاقِ
يقُولُ اليائِسُونَ : لقد تَوَلَّى ... وهَيْهاتَ الرُّجُوعُ أو التَّلاقي
مُحالٌ أن نَرى لِلنَّصْرِ وجْهاً ... ولَوْ طِرْنا إلى السَّبْعِ الطِّباقِ
سنَبْقَى في انْتِكاساتٍ وذُلٍّ ... ومَسْكَنَةٍ مُمَدَّدَةِ الرِّواقِ
ولَكِنِّي أقُولُ لسَوْفَ تأتي ... وتَنْهَضُ أُمَّتي بَعْدَ انْزِلاقِ
سَتُدْرِكُ ثأرَنا لا بُدَّ يوْماً ... وتَسْقي بالمَنِيَّةِ كُلَّ ساقِ
سَتَجْتَمِعُ القلوبُ على إخاءٍ ... ويَنْتَصِرُ الوِفاقُ على الشِّقاقِ
لقَدْ غَفَلَتْ كتائِبُنا زَماناً ... وعَادَتْ للصِّراعِ وَللسِّباقِ
قَريبٌ نَصْرُنا يا قَوْمُ جِدّاً ... فإنَّ الحَقَّ مُنْتَصِرٌ وباقِ

«الاكتفاء الدفاعي المعقول»

تعبير جديد اطل علينا مؤخراً من على صفحات جريدة «الواشنطن بوست» ونسبت هذه الصحيفة إلى سفير الاتحاد السوفياتي في دمشق قوله: «إن الجهود السوفياتية للوفاء باحتياجات سوريا العسكرية في المستقبل ستاخذ في اعتبارها حدود قدراتنا على الامداد بمعدات متقدمة وقدرة سوريا على الدفع. مع المراعاة الواجبة لمبدا الاكتفاء الدفاعي المعقول. والذي يعني القدرة على إنزال خسائر غير مقبولة بإسرائيل... إن القوة العسكرية ليست الملاذ الاخير، وهي ليست شهادة بالامن، ونحن نعتقد حقيقة ان ميزان القوى بات امرا عفا عليه الزمن... والتغيرات التي تحدث في الاتحاد السوفياتي ليس من شانها إلا ان تؤثر في اشكال معينة على شروط علاقاتنا الاقتصادية وغيرها من العلاقات».

وفي واشنطن نقلت رويتر «ان امريكا رحّبت بعزم الاتحاد السوفياتي على الحد من تسليم الاسلحة إلى سوريا وطالبته بتنفيذ ما تعهده فعلاً. وصرحت الناطقة باسم وزارة الخارجية ان الإدارة الأميركية تبدي ارتياحها إلى مبدا الاكتفاء الدفاعي المعقول بالنسبة إلى شحنات الأسلحة السوفياتية ولكن يبقى علينا معرفة ما إذا كان الاتحاد السوفياتي ومن الناطقة باسم الخارجية الأميركية هو ترديدهم لعبارة جديدة اطلقوا عليها اسم «مبدا» وكانها ستصبح عرفاً دولياً للتسلح بعد ان كان سائداً ما اسماه الغرب «مبدا التوازن الاستراتيجي» او «مبدا التوازن المسلح». فهل حصل تغير في سياسة غورباتشوف من ضمن ما حصل من تغيرات أخرى؟ وهل حصل اتفاق بين أميركا وروسيا على هذا التغير؟ اسئلة يثيرها هذا التصريح السوفياتي والرد الفوري الأميركي عليه. اما رد اهل المنطقة من سكان العالم الإسلامي فينبغي ان يكون البدء في الاعتماد على الذات اي بتصنيع الأسلحة ضمن عالمنا ودون اللجوء إلى شرق ولا إلى غرب لمدنا بالسلاح، حينها لا تستطيع ان تتحكم فينا الدول ذات المصالح والمطامع والتي تعطينا لمصلحتها وتحجب عنا لمصلحتها، اعاننا الله على رد كيدهم إلى نحورهم.

في الذكرى الثالثة للانتفاضة

أطفال وشباب ونساء ورجال ثاروا بسلاح الحجارة ضد اليهودي المحتل، وفي المقابل قيادات ترتمي على أقدام أميركا واسرائيل متوسلة أن يقبلوها. الشعب يعرف أن أمريكا عدوٌ واليهود أعداؤه وكل من يعترف بدولة اليهود أعداؤه، ومنظمة التحرير (الاستسلام) سبقت الجميع في اعترافها باسرائيل وتنازلها عن فلسطين. فهلاً عرف أهل الضفة والقطاع وأهل فلسطين وسائر المسلمين أن قادة المنظمة صاروا في صف اليهود؟ وهلاّ تحركوا لرجمهم بالحجارة كما يرجمون اليهود!